

الباب الأول:

مفهوم العمارة والمعابد وعلاقة المسلم بغيره وتحقيق الأمن في المجتمع مقصد شرعي

ويحتوي على ثلاث فصول على نحو الآتي:

الفصل الأول:

مفهوم العمارة والمعابد وغير المسلمين وبيان الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم

الفصل الثاني:

شمولية الرحمة التي جاء بها الإسلام.

الفصل الثالث:

إضافة حفظ الأمن الاجتماعي إلى مقاصد الضروريات وتقديمه بينها.

الفصل الأول:

مفهوم العمارة والمعابد وغير المسلمين وبيان الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم

إن الحكم على الشيء يتوقف على تصوره. فإن كان التصور صحيحاً، كان الحكم صواباً، وإن كان التصور غير مطابق للواقع، أو لما أراده المتكلم، فسيكون الحكم خاطئاً أو لم يكن في محله على الأقل. ولأجل ذلك سوف تبهرن الباحثة في هذا الفصل، عما أرادته من عنوان البحث. كما ستبين أيضاً العلاقة بين المسلمين وغيرهم، إذ إن هذا البحث يتعلق بها، فإن لم تكن بينهم أي علاقة، أو كان الشارع يأمر بعداوتهم، فسيتوقف البحث أو سيسير على سبيل آخر، وإن أقر الشارع حسن التعامل مع غير المسلمين، فسيفتح المجال للبحث عن حكم المسائل المتفرعة من هذه العلاقة.

ففي هذا الفصل ستحدث الباحثة عن مفهوم العمارة والمعابد، والمقصود من عمارة المسلمين لمعابد الأديان الأخرى. ولأجل ذلك قسمت الباحثة هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث. تتناول في أولها المفهوم من العمارة ومن المعابد، وفي الثاني المقصود من غير المسلمين، وتختتم الفصل بذكر الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم.

المبحث الأول: مفهوم العمارة والمعابد.

يتكون هذا المبحث من أربعة مطالب، يتناول المطلب الأول معنى العمارة من الناحية اللغوية والشرعية، وأما في الثاني فسوف توضح الباحثة المقصود من عمارة المسلمين للمعابد. وفي المطلب الثالث فستبين عن مفهوم المعابد من الناحية اللغوية والاصطلاحية ويختتم المبحث بالمطلب الرابع الذي تبين الباحثة من خلالها عن أنواع معابد غير المسلمين.

المطلب الأول: معنى العمارة:

أولاً: معنى العمارة لغةً:

أصل العمارة من العُمُر أو العُمُر أي: الحياة، يقال: قد طال عمره أي: عاش زماناً طويلاً. ويطلق العُمُر كذلك على المسجد والبيعة والكنيسة، سميت باسم مصدر لأنه يُعْمَرُ فيها، أي يُعْبَدُ. والعُمُر: الدِّين. وتطلق أيضاً على البناء والسكن، يقال: عَمَر فلان الدار أي: بناها. وعمر القوم المكان أي: سكنوه.

وتستخدم العمارة على عدة معانٍ تبعاً لاختلاف كيفية استخدامها. فالعمارة: ما يُعْمَرُ به المكان، يقال: مكان عامر أي: ذو عِمَارَةٍ. والعِمَارَةُ: أجر العِمارة. والعِمَارَةُ: كل شيء يضعه الرئيس على رأسه، من العمامة والقلنسوة والتاج وغير ذلك. والعِمَارَةُ تدل على التحية. والعَمَّار: الطيب الثناء، والطيب الروائح. والعَمَّار: الرجل القوي الإيمان، الثابت في أمره، الثخين الورع. قال ابن العربي: يقال: رجل عمار: إذا كان كثير الصلاة، كثير الصيام، لأنه مأخوذ من العُمُر، وهو البقاء فيكون باقياً في إيمانه وطاعته، وقائماً بالأمر والنهي إلى أن يموت. والعِمَارَةُ تطلق على أصغر من القبيلة، وقيل: هو الحي العظيم¹⁹.

ثانياً: معنى العمارة شرعاً:

إن مفهوم العمارة عند علماء الشريعة لا يختلف عن معناه اللغوي كثيراً. فقد قسّموا العمارة إلى قسمين: القسم الأول: العمارة الحسية: وذلك ببناء المساجد، وإصلاحها، وترميمها، وتنظيفها، وصونها عما لا يليق بها، وتنويرها. ويسمى هذا القسم كذلك بعمارة المساجد بالبناء²⁰.

¹⁹ الزبيدي. 1994م. تاج العروس. ج: 13. ص: 123، 130-132. مادة: ع-م-ر. ابن منظور. 1999م. لسان العرب. ج: 9. ص: 390، 392-394. مادة: ع-م-ر. إبراهيم أنيس. د.ت. د.م. دن. المعجم الوسيط. ج: 2. ص: 657. مادة: ع-م-ر.

²⁰ البغوي، الحسين بن مسعود. 2002م. معالم التنزيل (المعروف بتفسير البغوي). بيروت: دار ابن حزم. ص: 544. فخر الرازي، محمد بن عمر. 2001م. التفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج: 6. ص: 9. أبو حيان، محمد بن يوسف. 2010م. بحر الحيط. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج: 5. ص: 25. الخضير، إبراهيم بن صالح. 2001م. أحكام المسجد في الشريعة الإسلامية. الرياض: دار الفضيلة للنشر. ج: 2. ص: 7.

القسم الثاني: العمارة المعنوية، وذلك بالصلاة فيها، وشغلها بأنواع العبادات، كعقد مجالس العلم، والذكر، وصونها عما لم تبين له من الخوض في أحوال الدنيا، وكثرة إتيانها وغير ذلك. ويعرف أيضا بعمارة المساجد بالعبادة²¹.

فعمارتها بالعبادة هي الغاية المقصودة من عمارتها بالبناء، وهي أعظم منها، وقد ذكر ابن كثير في تأويل قول الله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَيَوْمَ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ، فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾²²، أن المراد بعمارتها شغلها بالعبادة²³. ولهذا ورد في الحديث: "يأتي على الناس زمان يتباهون بكثرة المساجد، لا يعمرونها إلا قليلاً"²⁴.

المطلب الثاني: المقصود من عمارة المسلمين للمعابد:

ستذكر الباحثة مفهوم عمارة غير المسلمين للمعابد أولاً، ثم تبين المقصود والمراد من عمارة المسلمين لمعابد غير المسلمين.

أولاً: عمارة غير المسلمين لمعابدهم:

إن اهتمام كل أبناء الأديان لمعابدهم شيء بدهي، فيبدلون أقصى جهدهم لتكون معابدهم في أحسن حال وأجمل صورة وأفضل مكان، لأن فيها تقام أكبر شعائر دينهم. وعمارة المعابد عند أبنائها تنوع إلى ثلاثة أنواع:

²¹ البغوي، الحسين بن مسعود. 2002م. معالم التنزيل (المعروف بتفسير البغوي). بيروت: دار ابن حزم. ص: 544. فخر الرازي، محمد بن عمر. 2001م. التفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج: 6. ص: 9. أبو حيان، محمد بن يوسف. 2010م. بحر المحيط. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج: 5. ص: 25. الخضير، إبراهيم بن صالح. 2001م. أحكام المسجد في الشريعة الإسلامية. الرياض: دار الفضيلة للنشر. ج: 2. ص: 7.

²² القرآن الكريم. سورة التوبة 9: 18.

²³ ابن كثير، إسماعيل بن كثير. 1981. تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الأندلس. ج: 3. ص: 371.

²⁴ الحديث. الطبراني، سليمان بن أحمد. 1995م. المعجم الأوسط. القاهرة: دار الحرمين للطباعة والنشر. ج: 7. ص: 301. #7559.

النوع الأول: العمارة الحسية: وذلك ببنائه وتشبيده وتنظيفه وإصلاح ما احتاج إلى إصلاحه وتطعيمه

وإسراجه وغير ذلك من الأعمال التي تعيد نفعها إلى هذا المبنى.

النوع الثاني: العمارة المعنوية: وتكون بقيام العبادات فيها، حتى لا يكون خاليًا، فيكون بناؤه عبثًا، أو

يستخدم في غير ما بني لأجله.

النوع الثالث: تولية وإدارة المعبد: شأن المعبد كشأن البناء الآخر الذي يحتاج إلى من يُرَبِّب أمره وينظم

أحواله ونشاطه، ويدير الأموال التي تنفق عليه، وينظر فيما هو نافعه.

ثانيًا: عمارة المسلمين لمعابد الأديان الأخرى:

لا يتصور من المسلمين عمارة المعابد بالعمارة المعنوية من العبادة فيها. إذ إنهم ليسوا من أهلها، وأنهم لا

يعبدون إلا الله وحده، والله تعالى لم يشرع لعباده إقامة الصلاة، وتلاوة القرآن وغير ذلك في معابد الأديان الأخرى،

بل محله في المسجد ولم يقبل الله العبادة إلا من المسلمين. ويبقى لهم عمارة المعابد بالبناء، والتشييد، والإنفاق،

والتصميم، وغير ذلك من صور العمارة الحسية، وأيضًا توليتهم في إدارة المعبد وتديره. فهذا النوع من العمارة التي

ستدرسها الباحثة في هذا البحث، وستبين أحكامها في منظور الفقه الإسلامي.

المطلب الثالث: مفهوم المعابد اللغوي والاصطلاحي:

أولًا: المعابد من الناحية اللغوية:

المعابد جمع معبد، وأصله من العبد، وهو الإنسان حرًا كان أو رقيقًا، يذهب بذلك إلى أنه مربوب لباريه.

ومنه يقال فلان عبد يَبِّ الْعُبُودَةِ وَالْعُبُودِيَّةُ وَالْعَبْدِيَّةُ، وأصل العبودية: الخضوع والتذلل. أما التعبد هو التنسك،

والعبادة طاعة وأن يعمل العبد بما يرضي الله وهي نهاية التعظيم له. قال الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونَهُ²⁵ والمعنى ما خلقهم إلا لأدعوهم إلى عبادتي، أي طاعة أوامري واجتناب ما نهيته عنه. ويذكر أنه لا يقال عَبْدٌ يَعْبُدُ عِبَادَةً إلا لمن يعبد الله تعالى، وأما عبد خدم مولاه فلا يقال عبده، قال الليث: ويقال للمشركين أنهم عبدة الطاغوت، ويقال للمسلمين عباد الله يعبدون الله، فالعابد هو الموحد²⁶. بينما يرى الآخرون أنه يكون لله ولغيره عز وجل، تقيد بشرائع من آمن به وخضع له. والمَعْبُد هو اسم لموضع يعبد فيه، ويقال كذلك المتعبد أي مكان التعبد.

ثانيا: المعابد من الناحية الاصطلاحية:

لم يختلف كثيرا معنى المعبد في الاصطلاح عن معناه اللغوي، فهو عبارة عن كل مكان، أو موضع اتخذ للعبادة، سواء أكان مسجدا أم كنيسة أم بيت النار أم غير ذلك. إلا أنه اشتهر استخدامه في عرف الإسلام في غير معبد المسلمين، والذي يخص باسم المسجد. ولذا إذا أطلق كلمة المعبد، فإنه تصرف إلى معبد غير المسلمين، ويتبادر الذهن إليه²⁷.

المطلب الرابع: أنواع معابد غير المسلمين:

لمعابد غير المسلمين أنواع متعددة، تبعا لأنواع الأديان التي تكون هذه المعابد لها، ومن أشهر أنواع المعابد:

1 - بيت النار: وهو معبد للمجوس، الذي يشعل فيه النار، ويعبدها المجوسي.

²⁵ القرآن الكريم. سورة الذاريات 51: 56.

²⁶ ابن منظور. 1999. لسان العرب. ص: 8-11. البستاني، المعلم بطرس. 1869. قطر المحيط. بيروت: لا. مط. ج: 2. ص: 1290. مسعود، جبران. 1992. المعجم الرائد. بيروت: دار العلم للملايين. ص: 537. البستاني، المعلم بطرس. 1987. محيط المحيط. بيروت: مكتبة لبنان. ص: 571. مجمع اللغة العربية. 2004. المعجم الوسيط. مصر: مكتبة الشروق الدولية. ص: 610.

²⁷ الفهيد، إبراهيم بن سليمان. 1429هـ. معابد الكفار وأحكامها في بلاد المسلمين. ص: 51. السعودية: جامعة الملك سعود.

- 2 - البَيْعَةُ: هي متعبد النصارى، أوسع من الصوماع، وقيل لليهود جمعه على بَيْعٍ كَعَنْبٍ²⁸.
- 3 - الدَّيْرُ: هو خان للنصارى. وأصله الواو وجمعه أديار وديورة وديارات. وصاحبه الذي يسكن فيه ويعمره ديار وديراني على غير قياس. وهو البناء الذي يبنى للرهبانية، بعيدا عن الناس، وغالبا يكون في خارج البلد²⁹.
- 4- الصومعة: بيت للنصارى ومنار للراهب. سميت بذلك لدقة في رأسها، وقال سيبويه: الصومعة من الأصمع، يعني المحدد الطرف المنظم. وهي مشتقة من الصمع، أو الأصمع يعني الصغير الأذن من الناس وغيرهم³⁰.
- 5- الكنيسة: هي متعبد اليهود، جمعها على الكنائس، وهي معربة أصلها: كنشت. أو هي متعبد للنصارى، كما قال الجوهري، أو هي متعبد الكفار على الإطلاق. ولكن اقتصر واشتهر استعماله ليدل على متعبد النصارى³¹.
- 6- الصلوات: ذهب بعض أهل اللغة إلى أنها متعبد اليهود وهي بالعبرانية: صَلَوَاتَا. وذهب بعض العلماء إلى أنها موضع عبادة الصائتين، بينما يرى الآخرون أنها متعبد للنصارى، وقيل هي محل العبادة لأهل الكتاب مطلقا.
- وقد ذكر القرآن الكريم عددا من معابد غير المسلمين في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هَآدَمَتْ صَوَامِعُ وَبُيُوعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾³².
- المبحث الثاني: مفهوم غير المسلمين:
- تقسم الباحثة هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، تذكر في أولها المراد بالمسلمين، وفي الثاني المراد بغير المسلمين، وتتكلم في الآخر عن أقسام غير المسلمين وأي قسم يراد به في هذا البحث.

²⁸ الزبيدي. 2012. تاج العروس. ج:20. ص: 197. مادة: ب - ي - ع. الفراهيدي، الخليل بن أحمد. د:ت... العين. ج:2. ص:265. د:مط.

²⁹ الزبيدي. 2012. تاج العروس. ج:12. ص:191. مادة: د - ي - ر.

³⁰ الزبيدي. 2012. تاج العروس. ج:21. ص:196. مادة: ص - م - ع.

³¹ الزبيدي. 2012. تاج العروس. ج:16. ص:235. مادة: ك - ن - س.

³² القرآن الكريم. سورة الحج. 22: 40.

المطلب الأول: المراد بالمسلمين:

المسلم هو من اعتنق دين الإسلام، ويتدين به، ويصدق ما جاء فيه. والإسلام هو الانقياد والاستسلام، أو هو مطلق الامتثال والإذعان الظاهري للعمل الصالح، سواء عمل أو لم يعمل. يقال فلان مسلم: أي المستسلم لأمر الله تعالى، وهو الانقياد لطاعته والقبول لأمره. ويأتي بمعنى المخلص له في العبادة من قولهم، سلم الشيء لفلان أي خلصه، وسلم له الشيء أي خلص له³³. وقال الغزالي³⁴: هو "عبارة عن التسليم والاستسلام بالإذعان والانقياد وترك التمرد والإباء والعناد"³⁵.

والإسلام اصطلاحاً: هو إظهار الخضوع والقبول للشرعية التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وقال البيجوري هو: "الامتثال والانقياد لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مما علم من الدين بالضرورة"³⁶. فالمراد بالامتثال هو الإقرار اللساني بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، الشامل لثبوت الوحدةانية لله تعالى، والرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة³⁷. وبذلك يختلف عن الإيمان إذ هو التصديق بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مما علم من الدين بالضرورة، إجمالاً في الإجمالي وتفصيلاً في التفصيلي³⁸، وزاد بعضهم: "والتزام أحكامه والتبرؤ من كل دين سواه"³⁹.

³³ ابن منظور. 1999. لسان العرب. ج: 6. ص: 341. الجوهري، إسماعيل بن حماد. 1984. الصحاح. ج: 5. ص: 1952. بيروت: دار العلم للملايين. تتان، عبد الكريم & الكيلاني، محمد أديب. 1999م. عون المريد لشرح جوهر التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة. دمشق: دار البشائر للطباعة والنشر. ج: 1. ص: 253.

³⁴ هو محمد بن محمد بن محمد، أبو حامد الغزالي، نسبة إلى "غزالة" قرية من قرى "طوس" (450-505هـ). فقيه شافعي أصولي متكلم كتنصوف، رحل إلى بغداد، فالحجاز فالشام فمصر وعاد إلى طوس. (معجم تراجم أعلام الفقهاء. 2004م. يحي مراد. ص: 256).

³⁵ الغزالي، محمد بن محمد. 1985. قواعد العقائد. بيروت: عالم الكتاب. ص: 236.

³⁶ الباجوري، إبراهيم بن الشيخ محمد الجيزاوي. 2002. تحفة المريد على جوهر التوحيد. القاهرة: دار السلام. ص: 96.

³⁷ تتان، عبد الكريم & الكيلاني، محمد أديب. 1999م. عون المريد لشرح جوهر التوحيد ج: 1. ص: 253.

³⁸ الباجوري. 2002. تحفة المريد. ص: 92.

³⁹ تتان، عبد الكريم & الكيلاني، محمد أديب. 1999م. عون المريد لشرح جوهر التوحيد. ج: 1. ص: 238.

أما علاقة الإسلام بالإيمان، فقد اختلف فيها العلماء، فمنهم من جعلهما شيئين يرتبط أحدهما بالآخر، ومنهم من جعلهما شيئين لا يتواصلان، ومنهم من جعلهما شيئاً واحداً. فمن جعلهما شيئين مختلفين متواصلين فقد نظر إلى موجب اللغة الذي ينبئ أن الإسلام أعم من الإيمان. إذ الإيمان مطلق التصديق بالقلب فقط، والإسلام التصديق بالقلب والامتثال بالظاهر، وقيل إن الإسلام انقياد بالظاهر فقط، فيكون بذلك أن الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الإسلام. وقال أيضاً أن الإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه يحقن الدم، فإن كان مع ذلك إظهار الاعتقاد والتصديق بالقلب فذلك الإيمان الذي هو صفته.

ومن جعلهما شيئين مختلفين منفصلين عن الآخر، فقد أراد أن الإيمان تصديق بالقلب فقط، والإسلام الاستسلام ظاهراً باللسان والجوارح، فقد يؤمن الرجل ولم يعمل، وقد أظهر الإسلام تعوداً في الحقيقة. وبعضهم جعل الخلاف لفظياً باعتبار المال، فحمل القول باتحاد مفهوميهما على معنى أن كلاً من اتصف بأحدهما، فهو متصف بالآخر شرعاً، فلا يوجد مسلم ليس بمؤمن، ولا مسلم ليس بمؤمن، وأيضاً فإن الإسلام ينجي صاحبه من الخلود في النار وكذلك الإيمان⁴⁰.

والحقيقة أن القرآن الكريم قد استعملهما على سبيل الترادف كمثل قول الله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾⁴¹، وورد على سبيل الاختلاف كقول الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾⁴². وقد جاء على سبيل التداخل⁴³ في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: "أن يسلم قلبك لله

⁴⁰ الباجوري. 2002. تحفة المريد. ص: 96. الغزالي، محمد بن محمد. 1986. إحياء علوم الدين. بيروت: دار الكتب العلمية. ج: 1. ص: 138.

تتان، عبد الكريم & الكيلاني، محمد أديب. 1999م. عون المريد لشرح جوهره التوحيد ج: 1. ص: 253.

⁴¹ القرآن الكريم. سورة الذاريات. 51: 35-36.

⁴² القرآن الكريم. سورة الحجرات. 49: 14.

⁴³ الغزالي، محمد بن محمد. 1986. إحياء علوم الدين. ج: 1. ص: 117.

عز وجل، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك"، قال: "فأي الإسلام أفضل؟ قال: "الإيمان"، قال: "وما الإيمان؟ قال: "تؤمن بالله وملائكته وكتبه"⁴⁴.

المطلب الثاني: المراد بغير المسلمين:

غير المسلمين هو الذي ينكر دين الإسلام ولم يعتنقه ولم يؤمن به ويسمى كافراً. فالكفر لغة: هو الستر والتغطية، يقال لمن غطى درعه بثوب: قد كَفَر درعه. والمكْفَر: الرجل المتغطى بسلاحه. والكفر ضد الإيمان سمي بذلك لأنه يغطي الحق. وكذلك كفران النعمة: جحودها وسترها. والكفر من الأرض: ما بُعد عن الناس، لا يكاد ينزله ولا يمر به أحد ومن حلّ به فهم أهل الكفور⁴⁵. والكفر قد يحصل بإنكار نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كاليهود والإشراك بالله، وهو أن يشارك ما سوى الله تعالى في ألوهيته أو ربوبيته كالنصارى، وقد يحصل أيضاً بعبادة الأصنام، وهو ما جعل على صورة إنسان أو غيره يعبد من دون الله تعالى وكذلك بعبادة الوثن وهو ما عبد من دون الله تعالى على أي وجه كان، فالوثن أعم من الصنم⁴⁶.

المطلب الثالث: أقسام الكافر:

إن تقسيم الكافر يختلف باختلاف الفن، فلفقهاء تقسيم يخصهم وكذلك للمتكلمين.

أولاً: ينقسم الكافر عند الفقهاء إلى أربعة أقسام:

1- الكافر الذمي: هم الكفار من أهل الكتاب والمجوس، الذين بقوا في بلاد المسلمين، وأعطاهم

المسلمون العهد والميثاق على حقن دماءهم وحمايتهم ونصرتهم، بشرط أن يعطوا الجزية، والتزام

⁴⁴ الحديث. أحمد. 2001. المسند. ج: 28. ص: 251. #17027. بيروت: مؤسسة الرسالة.

⁴⁵ ابن فارس، أحمد. 1979. معجم مقاييس اللغة. ج: 5. ص: 191. بيروت: دار الفكر.

⁴⁶ ابن العثيمين، محمد بن صالح. 1421هـ. القول المفيد على كتاب التوحيد. جدة: دار ابن الجوزي. ج: 1. ص: 116.

الصغار، وأحكام الإسلام⁴⁷. واشتهر عند كثير من الفقهاء أن أهل الذمة عبارة عمن يؤدي الجزية⁴⁸.

- 2- الكافر المستأمن: هو الكافر الحربي الذي أعطي الأمان لمدة محدودة من أحد المسلمين ليدخل دار الإسلام لغرض وحاجة ما، من غير استيطان لها ودفع الجزية. وبمنحه هذا الأمان حرم على المسلمين قتله، وسلب أمواله والتعرض له بإيذاء⁴⁹.
- 3- الكافر المعاهد: هو من يلبث في دار الكفر وكان له العهد والصلح مع المسلمين على ترك القتال لمصلحة المسلمين، سواء كان بعد جزية، أو هدنة سلطان، أو أمان من مسلم⁵⁰. ويسمى أيضا أهل العهد، وأهل الصلح، وأهل الهدنة⁵¹.
- 4- الكافر الحربي: هو الذي أعلن الحرب والقتال للمسلمين⁵².

⁴⁷ زيدان، عبد الكريم. 1982. أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، ص: 22. بيروت: مؤسسة الرسالة. سرار، سليم. 2005. استيزاز الذمي في الفقه الإسلامي. ص: 24. الجزائر: جامعة الحاج لخضر.

⁴⁸ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. 1997. أحكام أهل الذمة. ج: 2. ص: 874. الدمام: رما. للنشر.

⁴⁹ آل علي الرملي، علي بن مختار. 1429هـ. أنواع الكفر والكفار. 13 شوال. <http://www.alqayim.net/ar/artical/13/d-773>.

تيجاني، أحمد بن هارون. د:ت. "أصل العلاقة مع غير المسلمين". ص: 7. ندوة تطور العلوم الفقهية والنظرية الفقهية. عمان: د: مط. صدقية، محمد علي الحاج. 2014. الأحكام الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين من منظور إسلامي. ص: 28. فلسطين: جامعة النجاح الإسلامية. زيدان. 1982. أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام. ص: 46.

⁵⁰ آل علي الرملي. 1429هـ. أنواع الكفر والكفار. 13 شوال. <http://www.alqayim.net/ar/artical/13/d-773>. المنجد، محمد صالح.

1424هـ. أنواع الكفر. 10 محرم (تاريخ التصفح 2020/7/8). <https://almunajjid.com/speeches/lessons/576>. طاهر، محمد.

2007. ملخص أنواع الكفار وأحكامهم. 8 نوفمبر. (تاريخ التصفح 2020/7/8). <http://midad.com/article/199089/>.

⁵¹ ابن قيم الجوزية. 1997. أحكام أهل الذمة. ج: 2. ص: 874. إبراهيم، محمد يسرس. 2013. فقه النوازل للأقليات المسلمة. ج: 2.

ص: 878. القاهرة: دار اليسر.

⁵² صدقية. 2014. الأحكام الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين من منظور إسلامي. ص: 25. طاهر، محمد. 2007. ملخص أنواع الكفار وأحكامهم. 8 نوفمبر. (تاريخ التصفح 2020/7/8). <http://midad.com/article/199089/>.

فالذمي والمستأمن والمعاهد أصحاب العهد والأمن فلا يجوز قتلهم والتعرض لأموالهم وعرضهم.

أما الحربي فيجوز قتله بالضوابط والشروط التي ذكرها الفقهاء في كتاب الجهاد. وزاد بعض المعاصرين صنفين آخرين وهما⁵³:

1- المستضعف: وهو الكافر المنتمي لدولة تقاتل المسلمين، وهو من المستضعفين الذين لا

يستطيعون القتال، وقد منع الإسلام من قتلهم، مثل الشيخ الكبير، والراهب العابد المنقطع للعبادة، والأطفال، والنساء، والمعوقين.

2- الكافر غير المعتز: وهو الكافر المنتمي لدولة لم تعترض المسلمين، ولا اعتراضها،

وليس بينها وبينهم أي حرب وقتال، ولم يعينوا الذين يقاتلون المسلمين، ولم يكن كذلك بينها والمسلمين أي هدنة.

ثانيا: وينقسم الكافر عند المتكلمين إلى قسمين: الكفر الأكبر والأصغر.

القسم الأول: الكفر الأكبر: وهو الذي أخرج صاحبه عن دائرة الإسلام، وانتزع به الإيمان، واستحق لأجله

الخلود في النار. وهذا القسم من الكفر يتنوع إلى خمسة أنواع⁵⁴:

1- كفر التكذيب: فهو من كذب الرسل، ولم يصدق ما جاؤوا به.

2- كفر الإباء والاستكبار: فهو من لم يكذب برسالة الإسلام ولا يحددها، بل عرف صدق رسول

الله صلى الله عليه وسلم وأن ما جاء به حق من الله تعالى إلا أنه ينكر ذلك استكبارا وعنادا ومثل

ذلك كفر إبليس. ويسمى أيضا كفر الجحود، وهو منقسم إلى مطلق عام ومقيد خاص:

⁵³ طاهر، محمد. 2007. ملخص أنواع الكفار وأحكامهم. 8 نوفمبر. (تاريخ التصفح 2020/7/8).

<http://midad.com/article/199089/>

⁵⁴ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. 2001. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. ج:1. ص: 284-286. القاهرة: مؤسسة

المختار. البغوي. 2002م. تفسير البغوي. ص:16.

أ- المطلق العام: أن يجحد ما أنزله الله تعالى وما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم.

ب- الخاص المقيد: أن يجحد فرضاً من فروض الإسلام، أو يحلل ما حرمه أو أنكر صفة من الصفات التي وصفها الله تعالى ذاته المقدس.

3- كفر الشك والإعراض: فهو من لا يجزم بصدق رسول الله ولا يكذبه، بل يشك في أمره، ثم

أعرض عن النظر في آيات الله تعالى والبرهان الذي أتى به صلى الله عليه وسلم والحجج التي ألقاها، فلا يستمع إليها ولا يصغيها ولا يلتفت لها.

4- كفر النفاق: فهو من أظهر الإيمان بلسانه، ويبطن الكفر، وينطوي بقلبه على التكذيب.

5- كفر الشرك: فهو صرف بعض العبادة لغير الله تعالى، وأن يتخذ من دون الله تعالى ندا وشريكا

وصاحباً مع إيمانه بألوهية الله تعالى وربوبيته، أو هو يتضمن تسوية آلهة المشركين بالله سبحانه

وتعالى، وتسوية المخلوق بالخالق في شيء من صفات أو أسماء أو أفعال الله تعالى. فلو أنه قد

آمن بالله تعالى إلا أنه أتى بما ينقضه ويطله وهو إشراك بالله تعالى في وحدانيته وألوهيته فسماه

الله تعالى كافراً. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ

إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾⁵⁵

فالعلاقة بين الشرك والكفر هي علاقة عموم وخصوص، فكل مشرك كافر لأنه أنكر شيئاً

من خصائص الله تعالى، وليس كل كافر مشركاً⁵⁶. فالكفر أعم من الشرك، والشرك بمعناه يتداخل معه،

وقد يطلق الشرك والكفر بمعنى واحد، قال الإمام النووي⁵⁷ رحمه الله تعالى: "الشرك والكفر قد يطلقان

⁵⁵ القرآن الكريم. سورة المؤمنون. 23: 117.

⁵⁶ شلش، دعاء. 2019. الفرق بين الشرك والكفر. <https://mawdoo3.com/>. (تاريخ التصفح 16 يوليو 2020). بن باز، عبد العزيز.

د: ت. الفرق بين الكفر والشرك. <https://binbaz.org.sa/fatwas/2353/>. (تاريخ التصفح 16 يوليو 2020).

⁵⁷ هو يحيى بن شرف الدين النووي، أبو زكريا يحيى الدين (631-676هـ). من أهل نوى من قرى حوران جنوب دمشق. علامة في الفقه الشافعي والحديث واللغة. من تصانيفه "المجموع" و"روضة الطالبين". (يحيى مراد. 2004. معجم تراجم أعلام الفقهاء ص: 338).

بمعنى واحد، وقد يفرق بينهما، فيخص الشرك بعبدة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش، فيكون الكفر أعم من الشرك"⁵⁸. فالشرك والكفر من المصطلحات التي إن اقترنت في اللفظ، اختلفت في المعنى، وإن اختلفت في اللفظ، اقترنت واجتمعت في المعنى كالإسلام والإيمان، ويُطلق كلٌّ منهما على الآخر من جانب.

القسم الثاني: الكفر الأصغر: وهو الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفرا، أو نفى وصف الإيمان بمن ارتكب بعض المعاصي والكبائر، أو الحكم بدخول النار، أو تحريم عليه الجنة، ولا تصل إلى حكم الكفر الأكبر إذ لا يتضمن فيه إنكارا لأصل من أصول الإسلام ولا الإيمان ولا يناقضها، وأن النصوص لا تخرج فاعلها عن دائرة الإسلام⁵⁹. قال ابن الأثير: "والكفر صنفان: أحدهما الكفر بأصل الإيمان وهو ضده، والآخر الكفر بفرع من فروع الإسلام، فلا يخرج به عن أصل الإيمان"⁶⁰. ويسميه بعض العلماء بالكفر العملي، ويقابله الكفر الاعتقادي⁶¹. ومن أمثلة الكفر الأصغر:

1- الحكم بغير ما أنزل الله تعالى معتقدا بأن هذا الغير أفضل وأولى، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾⁶².

⁵⁸ النووي. د:ت. شرح صحيح مسلم. ج:2. ص:71.

⁵⁹ آل عبد اللطيف، سعد بن محمد. 2011. التعريفات الاعتقادية. ص:271-272. السعودية: مدار الوطن للنشر.

⁶⁰ ابن الأثير، المبارك بن محمد. 1979. النهاية في غريب الحديث. ج:4. ص:186. بيروت: المكتبة العلمية.

⁶¹ ضميرة، عثمان جمعة. 1999. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية. ص:342. القاهرة: مكتبة السوادى للتوزيع.

⁶² القرآن الكريم. سورة المائدة. 5: 44.

2- قتال المسلم معصوم الدم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"⁶³. قال

النووي: "وأما قتاله بغير حق فلا يكفر به عند أهل الحق كفرا يخرج به من الملة . . . إلا إذا استحله"⁶⁴.

فالمقصود من تكفير قاتل المسلم، أي أنه يفعل كفعل الكفار، أو يؤول بشؤمه وأنه من كبائر الذنوب.

3- انتساب الرجل إلى غير أبيه. قال في ذلك النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس من رجل ادعى لغير

أبيه وهو يعلمه إلا كفر"⁶⁵ وفي لفظ: "من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه

حرام"⁶⁶. قال ابن بطال: "ليس معناه الكفر الذي يستحق عليه التخليد في النار، وإنما هو كفر لحق

أبيه ولحق مواليه"⁶⁷.

وقد نسب النبي صلى الله عليه وسلم النساء التي تنكر فضل زوجها عليه وإحسانه إياها

بالكفر، لأن من معاني الكفر: ستر النعمة وجحودها. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أريت النار، فإذا أكثر أهلها

النساء، يكفرن. قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم

رأت منك شيئا، قالت: "ما رأيت منك خيرا قط"⁶⁸.

⁶³ الحديث. البخاري. 1986. صحيح البخاري (مطبوع مع فتح الباري). كتاب: الإيمان. باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

ج: 1. ص: 135. #48. القاهرة: دار الريان للتراث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الإيمان. باب: بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم: سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر. ص: 48. #64. الرياض: دار طيبة.

⁶⁴ النووي. د: ت. شرح مسلم. ج: 2. ص: 54.

⁶⁵ الحديث. البخاري. 1986. صحيح البخاري. كتاب: المناقب. باب: - ج: 6. ص: 623. #3508. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الإيمان. باب: بيان حال الإيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم. ص: 47. #61.

⁶⁶ الحديث. البخاري. 1986. صحيح البخاري. كتاب: المغازي. باب: غزوة الطائف في شوال سنة ثمان. ج: 7. ص: 642. #4326. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الإيمان. باب: بيان حال الإيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم. ص: 47. #63. أبو داود. د: ت. سنن أبي داود.

كتاب: الأدب. باب: في الرجل ينتمي إلى غير مواليه. ج: 4. ص: 330. #5113.

⁶⁷ ابن بطال، علي بن خلف. 2003. شرح صحيح البخاري. الرياض: مكتبة الرشد. ج: 8. ص: 384.

⁶⁸ الحديث. البخاري. 1986. صحيح البخاري. كتاب: الإيمان. باب: كفران العشير، وكفر دون كفر. ج: 1. ص: 104. #29. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الكسوف من أمر الجنة والنار. باب: ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف ص: 405. #907.

ثالثاً: وبجانب تقسيم الفقهاء والمتكلمين للكفر فإنه قد يقسم باعتبار أصالته إلى الكفر

الأصلي والعرضي⁶⁹.

أ) الكفر الأصلي:

وهو كل كافر يولد من أبوين كافرين، ولم يسلم قط، كمن يتدين بالأديان السماوية، مثل النصارى واليهود، أو كالثوني، مثل الهنود أو من عباد النار كالمجوس وكذلك يدخل فيه الملحد الذي لا يتدين بأي دين.

ب) الكفر العرضي: ولهذا القسم نوعان:

النوع الأول: المرتدون: وهو المسلم الذي صار كافراً، ورجع عن الإسلام، وخرج عن دائرته بإنكار الشهادة أو النطق بكلمة الكفر، كالإقرار بالوهمية غير الله تبارك وتعالى، أو سب الله تعالى ورسوله، أو أنكر ركناً من أركان الإيمان، أو جزءاً من أجزائه، أو نفى وجوب الأوامر وتحريم النواهي التي تعلم من الدين بالضرورة، وغير ذلك.

النوع الثاني: المبتدع في دين الإسلام: والمبتدع صنفان؛ صنف يكفر ببدعته، وصنف لا يكفر به. والبدعة هي أن يشرع في الدين ما لم يأت به النبي صلى الله عليه وسلم، أو يزيد في شريعته أو ينقصه أو يبدله ويحرفه، وهي نوعان: النوع الأول: بدع عملية وهي أن تشرع في الدين عبادة لم يشرعها الله ورسوله. وهي في الحقيقة الاستهزاء بالله. النوع الثاني: بدع اعتقاد ويقال لها البدع القولية. وهي التي أشار إليها رسول الله في حديثه: "وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة"⁷⁰.

⁶⁹ الجعفري، سيد محمد أديب ترمذي. 2016. تشييد وتعمير غير المسلمين للمساجد. ص: 24-26. بحث لنيل درجة الدكتوراة في جامعة العلوم الإسلامية الماليزية.

⁷⁰ الحديث. أبو داود. د.ت. سنن أبي داود. كتاب السنة. باب: شرح السنة. ج. 4. ص: 198. #4597. (الحديث صحيح)

وأحكام أهل البدعة متفاوتة بحسب بُعدهم عن أصول الدين وقربهم، وبحسب عقائدهم أو تأويلهم، وبحسب سلامة بقية المسلمين من شرهم. فبعض الفقهاء لا يُكفّر أهل البدع ويرون أنهم مسلمون، وبعضهم يكفر من خالف منهم ببدعته دليلاً قطعياً، ونسبه إلى أهل السنة وأهل الحديث⁷¹.

فالمراد من "غير المسلمين" في هذا البحث، هم الكفار الأصليون المسلمون بغير النظر إلى أنواعه عند المتكلمين. أما المحاربون فلا يتناولهم البحث حيث لا علاقة بينهم والمسلمين إلا العداوة والقتال، وكذلك المرتدون والمبتدعون، الذين يكفرون ببدعتهم إذ لا عصمة لأنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

المبحث الثالث: الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم:

بعد أن يثبت الباحثة أن الكفر ضد الإيمان ونقيضه، وأنه يمنع رحمة الله تعالى الخاصة، وأصبح به الشخص محجوراً عن فضل الله تعالى ومنتته ومغفرته، شعرت بالاحتياج إلى إبداء حكم الأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الكفار، هل تتأثر هذه العلاقة بعلاقة الله تعالى معهم، فتكون مبنية على العداوة والحرب أم لا ترتبط بذلك فتكون مبنية على السلم والأمن.

المذهب الأول: أن العلاقة بين المسلمين وغيرهم مبنية على الحرب والعداوة.

يبنى هذا المذهب رأيه على الآيات التي تدعو المسلمين إلى قتال غير المسلمين، والتي قد كشفت ما هم عليه من بغضاء للإسلام وأهله، والتّمّيّ بنزول التّوازل عليهم، وإثارة الفتن، وغير ذلك⁷². ومن أمثلة هذه الآيات قول الله تبارك وتعالى:

⁷¹ ابن عابدين. 2003م. رد المختار. ج.6، ص:413.

⁷² السرخسي، محمد بن أحمد. 1993. المبسوط. بيروت: دار المعرفة. ج:10، ص:2. اللخمي، علي بن محمد. 2011. التبصرة. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ج:3، ص:337.. الجويني، عبد الملك بن عبد الله. 2007. تحاية المطلب في دراية المذهب. جدة: دار المنهاج.. ج:17، ص:389. ابن ضويان، إبراهيم بن محمد. 1989. منار السبيل في شرح الدليل. بيروت: المكتب الإسلامي. ج:1، ص:283. ابن حزم،

1- ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ

مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾⁷³.

2- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ

الْمُتَّقِينَ﴾⁷⁴.

3- ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُواهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ

مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁷⁵.

وغير ذلك من الآيات القرآنية التي تدل على هذا المعنى. فكانت العبرة بعموم اللفظ، الذي يشير إلى إثبات العداوة والبغضاء ووجود المعتكك والصراع بين المسلمين وغيرهم، وإنما الأمن والسلام نتيجة هذا الصراع، إن استسلموا وأعطوا الجزية. ولا يقصر الحكم في الآية على خصوص السبب، فإنه لا يجوز أن يكون مخصصا لمدلول الآية، ويغفل الواقعة التي تنزل لأجلها الآية. فهذه القاعدة متفق عليها عند جمهور الأصوليين والفقهاء إلا من شذ عنهم⁷⁶. وتعتبر من أهم القواعد لفهم نصوص الكتاب والسنة، فإن عدم اعتبارها يؤدي إلى انخيار كثير من نصوص الكتاب والسنة. ويؤكد أيضا ذلك أن هذه الآيات نسخت كل ما عداها من الآيات التي تأمر بالإحسان والمودة أو موادة غير المسلمين⁷⁷. ففي هذه الآيات خصوصا الآية الخامسة من سورة التوبة أمر الله تعالى أن يضع السيف فيمن

علي بن أحمد، د.ت. المحلى، ج: 5، ص: 341، بيروت: دار الفكر، الزمناكوبي، محمود محمد علي، 2010، العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الإسلامية، بيروت: كتاب ناشرون، ص: 39.

⁷³ القرآن الكريم، سورة التوبة، 9: 29.

⁷⁴ القرآن الكريم، سورة التوبة، 9: 123.

⁷⁵ القرآن الكريم، سورة التوبة، 9: 5.

⁷⁶ الرازي، محمد بن عمر، 1997، المحصول، ج: 3، ص: 125، بيروت: مؤسسة الرسالة، القراني، أحمد بن إدريس، 1999، العقد المنظوم في

الخصوص والعموم، ج: 2، ص: 361، مصر: دار الكتي، ابن اللحام، علي بن محمد، 1420هـ، القواعد والقواعد الأصولية وما يتبعها من الأحكام الفرعية، بيروت: المكتبة العصرية، ص: 318.

⁷⁷ ابن كثير، إسماعيل، 1981، تفسير ابن كثير، ج: 3، ص: 365، مصر: دار الأندلس، البقاعي، إبراهيم بن عمر، 1976، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج: 8، ص: 380، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، أبي سعود، محمد بن محمد، 1990، تفسير أبي سعود، ج: 4، ص: 43، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

عاهد إن لم يدخلوا في الإسلام⁷⁸. واعتبرت هذه الآيات المنسوخة، وجرت أحكامها في فترة عندما كان الإسلام ضعيفا وهي فترة مكة، أما بعد أن أصبحت لدى المسلمين قوة وشوكة، لم يعمل بمدلول هذه الآيات، بل قام مقامها آيات القتال أو ما يسمى بآيات السيف⁷⁹.

ويرى كذلك أن علاقة الله تعالى مع غير المسلمين تؤثر على علاقة المسلمين بهم. فلما بين الله تعالى أنه عدو للكافرين لأجل ظلمهم له بالتنقيص من علو مقامه ونزته عن شريك وصاحبة وولد، وجعل جهنم مثواهم ومصيرهم، فعلى المسلم أن يقابلهم بالمثل، فيعاديهم وألا يسالمهم⁸⁰، إذ الجزء من جنس العمل عليهم، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾⁸¹، وقال أيضا: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾⁸².

المذهب الثاني: أن العلاقة بين المسلمين وغيرهم مبنية على الأمن والسلام⁸³:

ذهب فريق من العلماء أن السلام والأمان هو الأصل في العلاقة بين المسلم وغيره، أما الحرب والمعاداة، إنما يكون في حالة استثنائية واطارارية فقط، حينما يريد المسلمون أن يدفعوا الظلم عنهم في حال ظلمهم لهم، أو حقن دمائهم وحفظ أموالهم في حال الاعتداء عليهم ونهب أموالهم، أو لإخماد الفتنة التي أثرت عنهم. استدلو على ما ذهبوا إليه بعدة آيات قرآنية تحث على السلم والأمان والإعراض عن المشركين، ودعوتهم بالموعظة الحسنة والقول اللين، من هذه الآيات قول الله تعالى:

⁷⁸ ابن عباس، عبد الله. 1991. تفسير ابن عباس. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية. ص: 259.

⁷⁹ الزمناكوبي. 2010. العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الإسلامية. ص: 39.

⁸⁰ سرار، سليم. 2005. استباز الذمي في الفقه الإسلامي. ص: 26.

⁸¹ القرآن الكريم. سورة البقرة. 2: 98.

⁸² القرآن الكريم. سورة فصلت. 41: 19.

⁸³ ابن عابدين، محمد أمين. 2003. رد المختار. بيروت: دار الكتب العلمية. ج: 6. ص: 555. النووي، يحيى بن شرف. خلاصة الأحكام.

بيروت: مؤسسة الرسالة. ج: 2. ص: 909. المرداوي، علي بن سليمان. د: 1. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف. بيروت: دار إحياء التراث

العربي. ج: 2. ص: 463. الزمناكوبي. 2010. العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الإسلامية. ص: 39. الزويني، عبد

الفتاح بن اليماني. أحكام الأقليات المسلمة في التراث الفقهي الإسلامي. بيروت: دار الكتب العلمية. ص: 691-692.

1- ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾⁸⁴.

2- ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁸⁵.

3- ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾⁸⁶.

4- ﴿إِلَّا الَّذِينَ غَاوَوْا مِنْ الْمَشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾⁸⁷.

فهذه الآيات وغيرها تدل على أن الأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلام والأمن، لأنه لو لم يكن كذلك لما أمر المسلمون بالتزام جانب السلم إن جرح إليه غيرهم. ومما يؤكد صواب هذا الرأي أن الإسلام ينهى ويمنع من قتال النساء والصبيان والرهبان والشيوخ، وكذلك من لم يشارك في قتال المسلمين، فهذا يدل على أن أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم، هو السلام ولا تتبدل هذه العلاقة السالمة والأمنة إلى الحرب، ولا تتحول إلى المعاداة، إلا إذا اخترقها غير المسلمين أولاً وأبدوا البغضاء والعداوة للمسلمين. فاللجوء إلى القوة والقتل أحياناً يحتاج إليه في الأمور الاستثنائية والضرورية⁸⁸.

ثم إن القواعد التي نص عليها الفقهاء تؤيد ذلك، كقولهم: "الأصل في الدماء الحظر إلا بيقين الإباحة"⁸⁹، "وإباحة القتل لدفع البغي"⁹⁰. والأمر أصبح أكثر ظهوراً حينما قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ

⁸⁴ القرآن الكريم. سورة النحل. 16: 125.

⁸⁵ القرآن الكريم. سورة الأنفال. 8: 61.

⁸⁶ القرآن الكريم. سورة يونس. 10: 99.

⁸⁷ القرآن الكريم. سورة التوبة. 9: 4.

⁸⁸ الزمناكوبي. 2010. العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الإسلامية. ص: 40.

⁸⁹ ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد. 1419هـ. تقرير القواعد وتحرير الفوائد. السعودية: دار ابن عفان للنشر والتوزيع. ج: 3. ص: 160.

⁹⁰ علاء الدين البخاري، عبد العزيز بن أحمد. د: ت. كشف الأسرار شرح أصول البزدوي. بيروت: دار الكتاب الإسلامي. ج: 4. ص: 340.

فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩١﴾
فهذه الآية ترسخ بأن الأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلام وليس الحرب أو العداوة.

وأما عن آيات القتال فإنما يتحدث عن مبررات القتال، وليس من بينها الكفر نفسه، أو كانت تتناول عن أحداث الحرب أو تصور الوقائع التي كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولم تكن على الإطلاق.

ثم إن قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فقد قالوا: إن دلالة على السبب أقوى من دلالة على غيره، فدلالته على محل السبب قطعية وعلى غيره ظنية، لأن السبب قرينة في انصرافه إلى العهد⁹²، فيجب إعماله بالشرطين، وهما: ألا يكن هناك معارض أو مانع لإعمال عموم اللفظ، أما إذا وجد معارض أو المانع الذي يمنع إعمال عموم اللفظ، فينبغي أن يحمل اللفظ على خصوص السبب. قال السبكي رحمه الله تعالى: "إذا عرفت أن الأرجح عندنا اعتبار عموم اللفظ دون خصوص السبب، فلا نعتقد أن ينسحب العموم في كل ما ورد وصدر، بل إنما نعم حيث لا معارض"⁹³.

فهذه القاعدة لا تنطبق على آيات القتال لوجود المانع والمعارض، وهو الآيات التي تأمر بالإحسان والبر إلى غير المسلمين الذين لم يحاربوا المسلمين ويظهروا لهم العداوة والصغينة. وكذلك ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم من إظهار الرحمة لغير المسلمين والشفقة لهم، والذي سنتناوله الباحثة في الفصل الآتي.

ويجب أن يفرق أيضا بين ورود العام على السبب الخاص، وبين دلالة السياق والقرائن. فالأول لا يخصص اللفظ العام عند جماهير العلماء، أما الثاني فإنه يجعل مدلول العام محصا. وقد نبه السبكي عن هذا فقال: يجب

⁹¹ القرآن الكريم. سورة الممتحنة. 60: 8-9.

⁹² الزركشي، محمد بن عبد الله. 1998. تشنيف المسامع بجمع الجوامع. مصر: مكتبة القرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث.. ج:2. ص:565.

⁹³ السبكي، عبد الوهاب. 1991. الأشباه والنظائر. بيروت: دار الكتب العلمية. ج:2. ص:136.

أن يتنبه للفرق بين دلالة السياق والقرائن على تخصيص العام وعلى مراد المتكلم، وبين ورود العام على سبب، ولا تجري مجرى واحد، فإن مجرد ورود العام على سبب لا يخصه، وأما السياق والقرائن فإنها الدالة على المراد، وهي المرشدة إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات⁹⁴. فعلاقة آيات القتال وسبب نزولها، إنما هو من قبيل دلالة السياق والقرائن لكي يستطيع أن يوفق بينها وبين الآيات التي تحت على البر والإحسان إلى غير المسلمين، فلا حاجة إلى ادعاء النسخ أو التأويل.

الترجيح: ترى الباحثة أن القول الثاني هو الراجح؛ لقوة أدلتهم وسلامتها من الاعتراض، كما أنه يتماشى مع روح الإسلام الذي جاء إلى هذا العالم لنشر السلام ومكارم الأخلاق، لذا تعتبر الآيتان من سورة الممتحنة دستوراً محكماً في تحديد العلاقة بين المسلمين وغيرهم وقد نزلتا في شأن المشركين. ولا وجه لمن قال بنسخهما، لأن بر المؤمن أحداً من غير المسلمين غير محرم شرعاً ولا محظوراً. فلا يوجد إذن قتال على أساس الكفر بعينه⁹⁵، وقد حسم القرآن الكريم هذه القضية في قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾⁹⁶.

⁹⁴ السبكي. 1991. الأشباه والنظائر. ج:2. ص:135.

⁹⁵ وهي، خالد بن مبارك. 2010. قتال المشركين في القرآن. 1 مايو. <https://www.alfalq.com/?p=756>. (تاريخ التصفح 3 مارس 2020).

⁹⁶ القرآن الكريم. سورة البقرة. 2: 256.

الفصل الثاني:

شمولية الرحمة التي جاء بها الإسلام

أمر الدين الإسلامي بالرحمة وأسس جميع أحكامه عليها، فشريعة الله كلها رحمة وضعت ليرحم الله بها عباده، وليرحم بعضهم بعضا. فركز دين الإسلام على الرحمة والشفقة والرفق، ونقر من العنف والقسوة. فهي خلق من أخلاق الإسلام وسمة من سمات الأنبياء بل عنوان من عناوين المسلمين، فينبغي أن يعرف بها. وكان أول ما يلفت الأنظار حين فتح كتاب الله وحين صدرت جميع سور القرآن — ما عدا سورة التوبة — بالبسملة وفيها اسمان من أسمائه تبارك وتعالى وهما الرحمن والرحيم، ليدل على أن ما بعدها من الآيات والأحكام والشريعة مسور ومحيط بالرحمة. ولم يكتف الله عز وجل بهذا فقط، بل جعل رسوله محمدا الرحمة المهداة للعالمين، انبثقت منه الرحمة، ونشرت الرحمة به حتى ملأ الأرض بها وسبق في تقرير مبدأ الرحمة في حياة الإنسان.

وحينما يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم للرحمة والشفقة يدعو إليها على سبيل العموم والشمول. لم يختص بها على من اتبعه فقط بل رفع أعلامها على جميع مستوى الإنسان، ويتعدى إلى الحيوانات والنباتات والجمادات وسائر الكائنات. فاختصاص الرحمة على حزب دون آخر وعلى فرقة دون فرقة، واقتصاره على نوع دون الأنواع، تخصيص بلا مسوغ واقتصار دون دليل. فتحريم الرحمة كليا على الإنسان بهتان عظيم في هذا الدين وافتراء على الله ورسوله.

ولتبين هذا المعنى، قسمت الباحثة هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث. تناولت في أولها مفهوم الرحمة، ومكانتها في الإسلام، ثم تبعته بالمبحث الثاني، وذكرت فيه سعة رحمة الله وشمولها لجميع الإنسان. وختمته بالمبحث الثالث، وتحدثت فيه عن بعض المظاهر التي تدل على رحمة رسول الرحمة بجميع أمته وبغير المسلمين.

المبحث الأول: مفهوم الرحمة ومكانتها في الإسلام:

بينت الباحثة في هذا المبحث مفهوم الرحمة، ومكانتها السامية في الإسلام. ولكي يتحقق الغرض من

هذا المبحث، قسمته الباحثة إلى ثلاثة مطالب. تناولت في أولها مفهوم الرحمة، والمعنى الذي استخدمه القرآن الكريم لها. أما في المطلب الثاني، فتحدثت عن أهمية الرحمة وفضلها، وتطرق في المطلب الأخير إلى أقسام الرحمة، والصفات التي تستوجب الرحمة الخاصة، وتمنع عنها.

المطلب الأول: مفهوم الرحمة والمعنى الذي استخدمه القرآن لها:

أولاً: مفهوم الرحمة لغة:

الرحمة مشتقة من رحم وهي: الرقة والتعطف، ومما يدل على أن الرحمة هي التعطف قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾⁹⁷. وتطلق الرحمة على المغفرة، وقد يراد بها ما تقع به الرحمة كالرزق والغيث، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾⁹⁸ أي، الغيث لأنه برحمته ينزل من السماء. ويقال تراحم القوم، أي يرحم بعضهم بعضاً. والرحم بمعنى علاقة القرابة، وعليه كانت تسمية رحم الأنثى رحماً؛ وذلك لأنَّ منها ما يكون ما يرحم، ويرأف له من الابن⁹⁹.

فالرحمة هي عبارة عن الانفعالات والعواطف التي تبدو على شخصٍ بظواهرها، وليس بحقيقة تكوينها. وعلى هذا، فالرحمة ليست عبارة عن الانفعالات الداخلة فحسب، بل إن لها آثاراً واضحة ومظاهراً بينها¹⁰⁰، يقول ابن فارس: الراء والحاء والميم أصل واحد، يدل على الرقة والعطف والرأفة، يقال من ذلك رحمه يرحمه إذا رق له وتعطف عليه¹⁰¹.

⁹⁷ القرآن الكريم: سورة البلد 90: 17.

⁹⁸ القرآن الكريم. سورة هود 11: 8.

⁹⁹ الزبيدي. 2012. تاج العروس. ج: 31. ج: 115-116. ابن منظور. 1999. لسان العرب. ج: 5. ص: 173-174.

¹⁰⁰ بخيت، عمران عزت. 2009. الرحمة الإلهية: دراسة قرآنية. فلسطين: جامعة النجاح. ص: 7.

¹⁰¹ ابن فارس، أحمد. 1979. معجم مقاييس اللغة. ج: 2. ص: 498.

ثانياً: مفهوم الرحمة اصطلاحاً:

هي رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم. وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد. وإن استعملت في صفة الله فهي الإحسان المجرد دون الرقة. وعلى هذا يقال إن الرحمة من الله الإنعام والإفضال، ومن الآدميين الرقة والتعطف. وهي عند الراغب الأصفهاني: "رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم"¹⁰². وقال ابن قيم¹⁰³ عن تعريف الرحمة: "صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العباد، وإن كرهتها نفسه وشقت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية. فأرحم الناس بك من أوصل إليك مصالحك، ودفع المضار عنك ولو شق عليك في ذلك"¹⁰⁴. وعرفها الجرجاني: "بأنها إرادة إيصال الخير"¹⁰⁵.

وقال عنها ابن عاشور: "رقة في النفس تحمل على سوق الخير لمن تتعدى إليه، واسم الرحمة موضوع في العربية لرقة الخاطر وانعطافه نحو حي، بحيث تحمل من اتصف بها على رفق بالمرحوم والإحسان إليه ودفع الضر عنه وإعانتته على المشاق"¹⁰⁶. وقال الشرباصي: "الرحمة فضيلة تدل على قوة صاحبها ونبله، لأنه لا يحتكر الخير لنفسه ولا يهمل التفكير في سواه، بل يحس بآلام الآخرين، ويقدر مشاعرهم، ويسهم في معاونتهم، ويخفف عنهم حينما يستحقون التخفيف"¹⁰⁷.

¹⁰² الراغب الأصفهاني، الحسين. 2009. معجم المفردات ألفاظ القرآن. دمشق: دار القلم. ص: 347.

¹⁰³ هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، شمس الدين أبو عبد الله الدمشقي، الحنبلي، المعروف بابن قيم الجوزية، (691-751هـ). فقيه أصولي مجتهد مفسر محدث متكلم نحوي مكتر من التصنيف. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله. وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه وسجن معه في قلعة دمشق. من تصانيفه "زاد المعاد" و "مفتاح السعادة". (معجم تراجم أعلام الفقهاء. 2004م. يحي مراد. ص: 280)

¹⁰⁴ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. د.ت. إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان. الرياض: مكتبة المعارف. ج: 2. ص: 172.

¹⁰⁵ الجرجاني، علي بن محمد. 2012. التعريفات. جكرتا: دار الكتب الإسلامية. ص: 124.

¹⁰⁶ ابن عاشور، محمد طاهر. 1984. التحرير والتنوير. تونس: دار التونسية للنشر. ج: 26. ص: 24.

¹⁰⁷ الشرباصي، احمد. د.ت.. موسوعة أخلاقي القرآن. بيروت: دار الرائد العربي. ج: 1. ص: 122.

وأما الحرالي فذهب إلى أن الرحمة هي نحلة ما يوافي المرحوم في ظاهره وباطنه، أدناه كشف الضر وكف الأذى، وأعلاه الاختصاص برفع الحجاب¹⁰⁸. وقال القاشاني: الرحمة على قسمين: امتنانية ووجودية، فالامتنانية هي الرحمة المفيضة للنعم السابقة على العمل وهي التي وسعت كل شيء، وأما الوجودية فهي الموعودة للمتقين والمحسنين¹⁰⁹. قال تعالى: ﴿وَرَحْمِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾¹¹⁰.

ثالثاً: المعنى الذي استخدمه القرآن للرحمة في القرآن¹¹¹:

لقد ذكر القرآن الكريم الرحمة في مائتي موضع إلا واحداً. واستخدمها القرآن الكريم على معان متنوعة، وأوجه متعددة لتدلّ على سعة مفهوميها، فتأتي الرحمة بمعنى:

- 1- الجنة كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾¹¹².
- 2- النبوة كقوله ﴿وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ﴾¹¹³.
- 3- المطر والغيث في قول تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى ثَأْنِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾¹¹⁴، وقوله: ﴿وَيَنْشُرْ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾¹¹⁵.

¹⁰⁸ الحرالي، أبي الحسن المراكشي. 1997. مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل. الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ج: 1. ص: 246.

¹⁰⁹ ابن منظور. 1999. لسان العرب. ج: 5. ص: 173-174. الزبيدي. 2012. تاج العروس. ج: 32. ص: 116.

¹¹⁰ القرآن الكريم. سورة الأعراف 7: 156.

¹¹¹ حميد، صالح بن عبد الله & ملوح، عبد الرحمن بن محمد. 2010. موسوعة نظرية النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم. جدة: دار الوسيلة.

ج: 6. ص: 2063. زومان، محمد. د.ت. "خطاب الرحمة في القرآن الكريم". المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام. السعودية: جامعة الملك سعود. ص: 171 - 193. بخيت. 2009. الرحمة الإلهية: دراسة قرآنية. ص: 20-28.

¹¹² القرآن الكريم. سورة البقرة 2: 218.

¹¹³ القرآن الكريم. سورة هود 11: 28.

¹¹⁴ القرآن الكريم. سورة الروم: 30: 50.

¹¹⁵ القرآن الكريم. سورة الشورى 42: 28.

4- أرزاق الإنسان والحيوان كما في قول تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾¹¹⁶، وقوله:

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾¹¹⁷.

5- المودة والمحبة والألفة كقول الله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾¹¹⁸.

6- العصمة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾¹¹⁹.

7- العافية من الابتلاء والامتحان. قال تعالى: ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ . . .﴾¹²⁰.

8- بمعنى النجاة من عذاب النار. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا

وَلَكِنَّ اللَّهَ يُنْكِي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾¹²¹ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يدخل الله أهل الجنة

الجنة، يدخل من يشاء برحمته . . ."¹²².

9- بمعنى صفة الكتاب المنزل. قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾¹²³.

10- صفة الله الرحمن الرحيم. قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾¹²⁴.

11- النصر على الأعداء. قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ

رَحْمَةً، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾¹²⁵.

¹¹⁶ القرآن الكريم. سورة فاطر 35: 2.

¹¹⁷ القرآن الكريم. سورة الإسراء 17: 100.

¹¹⁸ القرآن الكريم. سورة الحديد 57: 27.

¹¹⁹ القرآن الكريم. سورة يوسف 12: 53.

¹²⁰ القرآن الكريم. سورة الزمر. 39: 38.

¹²¹ القرآن الكريم. سورة النور. 24: 21.

¹²² الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الإيمان. باب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار. ص: 102. #304. ابن حبان.

1993. صحيح ابن حبان. بيروت: مؤسسة الرسالة. كتاب: الإيمان. باب: فرض الإيمان. ج: 1. ص: 408. #182.

¹²³ القرآن الكريم. سورة هود 11: 17.

¹²⁴ القرآن الكريم. سورة الأنعام 6: 54.

¹²⁵ القرآن الكريم. سورة الأحزاب 33: 17.

12- التوفيق. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾¹²⁶.

13- الشفاعة. قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ

الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾¹²⁷.

14- النبي صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ

لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾¹²⁸.

أي بمعنى أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو رحمة للذين آمنوا منكم.

المطلب الثاني: أهمية الرحمة في الحياة وفضلها:

أولا: أهمية الرحمة في الحياة:

لفظ الرحمة هو المفهوم الإسلامي الأصيل، بها تنبض الحياة والعيش، فمن رحمة الله تعالى للخلق أنه أنزل لهم كتباً، وأرسل لهم الرسل فمن اهتدى فقد اتصل الهدى في حقهم بالرحمة، فصار القرآن لهم هدى ورحمة، وأما من لم يهتد فلم يتصل الهدى بالرحمة، فصار القرآن لهم هدى بلا رحمة. ومن رحمته أيضاً، أن حذرهم نفسه لئلا يغتروا به، فيعاملوه بما لا تحسن معاملته به. وكذلك معاملة الأنبياء بأمرهم مبنية على الرحمة، فهم أرحم الخلق بالخلق، يحملون أعباء الرسالة لأجل أمهم.

وتبرز أهميتها للمجتمع أنها تعتبر من أهم الركائز التي يقوم عليها المجتمع. فيها ينتشر الأمن والوثام بين الناس، يستشعر من خلالها معنى المحبة والألفة والوداد، فيصبح المجتمع كالجسد الواحد، إذا تألم أحد أعضائه تألم الجميع. وأصبح روح التعاون تزداد ويسعى من ورائه إلى تحقيق المنافع والمصالح للعباد والبلاد. وعلى قدر حظ المجتمع

¹²⁶ القرآن الكريم. سورة النساء 4: 83.

¹²⁷ القرآن الكريم. سورة الدخان. 44: 41-42.

¹²⁸ القرآن الكريم. سورة التوبة: 9: 61.

من هذا الخلق، تكون قدر قوة الروابط الاجتماعية والأسرية. وهي تفتح باب الرجاء والأمل، وتغلق أبواب الخوف واليأس.

فالرحمة تدفع الناس إلى إيصال الخير للآخرين، ودفع المكارهم عنهم. فمن رحمة الأب بولده والمعلم لطلابه والعامل لمن يعمل له والغني للفقراء أن يكرههم على التأدب والتعليم والعمل والإنفاق. وتجاهلهم عن ذلك يدل على قلة رحمتهم بهم. ويستحيل على المجتمع الذي لا تسوده الرحمة أن يرتقي ويتقدم ويبنى الحضارة. وإذا انعدمت الرحمة، ظهر الفساد والخراب في طبقات المجتمع. ولا يرحم الراعي رعيته، فلا يحرص إلا فيما يشبعه ويغنيه. ولا يهتم المولود له بولده ولا يحفظ الأبناء حرمة والديهم، ولا يعرف الجيران حقوق جيرانهم، وسيخون المتبايعان بعضهم بعضا وسيقتصر المعلم في مسؤوليته تجاه طلابه، وستقل رغبة الطالب في طلب العلم، وستتجاهل عامل عن عمله ويهمله، وسيختلئ أبناء المجتمع عن مسؤوليتهم تجاه مجتمعهم، ولن يجدوا من يؤخذ بأيديهم إلى طريق الحق ويبدل لهم النصيح والإرشاد. وخلاصة الأمر أن الرحمة سوف تجلب نفعا ورخاء، بينما فقدانها لا يؤدي إلا إلى الخسرة والفساد.

ثانيا: فضل الرحمة¹²⁹:

إن للرحمة فضلا عظيما وشأنا كبيرا، وكيف لا وهي صفة من صفات الله تبارك وتعالى وهي الخلق التي تخلق بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكفي لمن انصف بها فضلا أنها صفة الله تعالى وخلق رسوله الكريم.

ومن فضل الرحمة:

¹²⁹ حميد & ملوح. 2010. موسوعة نضرة النعيم. ج:6. ص:2102.

1- نيل الراحمين رحمة الله وملائكته. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا

أهل الأرض يرحمكم من في السماء"¹³⁰. وقال أيضا: "وإنما يرحم الله من عباده الرحماء"¹³¹.

2- إن هذه الصفة ستتعدى إلى غيره، سواء من الإنسان والحيوان. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إنه من لا يرحم لا يرحم"¹³². أي من يرحم الناس والحيوان، فإن المرحوم سوف يقابل هذه الرحمة

بالرحمة مثلها، ومن لا يرحم الآخرين، فإنه سيحرم من أن يكون من المرحومين.

3- الرحمة من علامات الإيمان وسمات المؤمنين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لن تؤمنوا حتى ترحموا

...".¹³³ وقال أيضا: "إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله"¹³⁴.

4- الرحمة تمنع الشقاوة عن صاحبها. لقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، أن الشقي هو من يحرم نفسه

من الرحمة، فقال: "لا تنزع الرحمة إلا من الشقي"¹³⁵، وقال أيضا: "من لا يرحم الناس لا يرحمه

الله"¹³⁶.

¹³⁰ الحديث. أحمد. 2001. المسند. ج: 11. ص: 33. #6494. أبو داود. د.ت. سنن أبي داود. كتاب: الأدب. باب: في الرحمة. ج: 4. ص:

285. #4941. الترمذي. 1983. سنن الترمذي. كتاب: البر والصلة. باب: في رحمة الناس. ج: 3. ص: 217. #1989.

¹³¹ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الجنائز. باب: البكاء على الميت. ص: 410. #923.

¹³² الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الفضائل. باب: رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال. ص: 1095. #2318.

¹³³ الحديث. الهيثمي. 1994. مجمع الزوائد. كتاب: البر والصلة. باب: رحمة الناس. ج: 8. ص: 340. #13671. الحاكم. 1990. المستدرک

على الصحيحين. كتاب البر والصلة. ج: 4. ص: 282. #7389. باللفظ: "لا تدخلوا الجنة حتى ترحموا".

¹³⁴ الحديث. الترمذي. 1983. سنن الترمذي. كتاب: الإيمان. باب: استكمال الإيمان والزيادة والنقصان. ج: 4. ص: 122. #2743. درجة

الحديث: حسن صحيح.

¹³⁵ الحديث. أبو داود. د.ت. سنن أبي داود. كتاب: الأدب. باب: في الرحمة ج: 4. ص: 286. #4942. الترمذي. 1983. سنن الترمذي.

كتاب: البر والصلة. باب: رحمة الناس. ج: 3. ص: 216. #1988.

¹³⁶ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الفضائل. باب: رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال. ص: 1095. #2319.

5- أنها توحى بصدق المرء في انتمائه إلى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ

عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ . . .﴾¹³⁷، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لا يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا"¹³⁸.

6- أنها سبب في اتحاد كلمة الأمة وتوحيد صفوفهم. قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ

فَطَّاءً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ . . .﴾¹³⁹، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"¹⁴⁰.

7- إنها سبب في جعل من اتصف بها من خيار الناس لأنها رأس الأخلاق الحميدة بها خلق الله الخلق

وبها أرسل الرسل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً"¹⁴¹.

8- إشاعة الرحمة بين أفراد المجتمع ترفع من مستواه.

9- دخول الجنة، فإن الجنة دار الرحمة، فلا يدخلها إلا الراحمون برحمة الله. قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: "دنا رجل إلى بئر فنزل فشرب منها وعلى البئر كلب يلهث فرحمه، فنزع أحد خفيه فسقاه فشكر الله له فأدخله الجنة"¹⁴².

¹³⁷ القرآن الكريم. سورة الفتح 48:29.

¹³⁸ الحديث. أبو داود. د.ت. سنن أبي داود. كتاب: الأدب. باب: في الرحمة ج:4. ص:286. #4943. الترمذي. 1983. سنن الترمذي.

كتاب: البر والصلة. باب: رحمة الصبيان. ج:3. ص:215. #1985.

¹³⁹ القرآن الكريم. سورة آل عمران 3: 159.

¹⁴⁰ الحديث. البخاري. 1987. صحيح البخاري. كتاب: الأدب. باب: رحمة الناس والبهائم. ج:10. ص:452. #6011. مسلم. 2006.

صحيح مسلم. كتاب: البر والصلة والآداب. باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاذهم. ص:1201. #2586.

¹⁴¹ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الفضائل. باب: كثرة حياته. ص:1096. #2321.

¹⁴² الحديث. ابن حبان. 1993. صحيح ابن حبان. كتاب: البر والإحسان. باب: رجاء دخول الجنان لمن سقى ذوات الأربع إذا كانت عطشى.

ج:2. ص:301. #543.

10- إن الحرص عليها سبب لترك المعاصي، وغفران الذنوب، ورفع الدرجات. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ

الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ﴾¹⁴³.

11- إنها دليل رقة القلب، وسمو النفس.

المطلب الثالث: أقسام الرحمة وموجباتها وموانعها:

ذكرت الباحثة فيما سبق أن القرآن قد استخدم كلمة الرحمة لمعان متعددة وأوجه متنوعة. فمن الخطأ البين اقتصارها على المعنى المعين، وإخراج بعض ما تتناولها، فتخصيص استعمالها وتقصير مفهومها مخالف لما عليه القرآن الكريم. فستبين الباحثة في هذا المطلب أقسام الرحمة وموجباتها وموانعها.

أولاً: أقسام الرحمة:

يمكن تقسيم رحمة الله تعالى إلى قسمين. قسم يعم جميع الخلق في الحياة الدنيا، وقسم يخصها الله تعالى لمن اصطفاه من خلقه لسبب ما¹⁴⁴. ومما يدل على هذا التقسيم قول الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾¹⁴⁵. قال الحسن وقتادة: "وسعت في الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة"¹⁴⁶. ومن الآيات التي تدل على وجود رحمة الله العامة قوله: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ

¹⁴³ القرآن الكريم. سورة الزمر. 39: 53.

¹⁴⁴ ززمان. د.ت. "خطاب الرحمة في القرآن الكريم". المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام. ص: 160.

¹⁴⁵ القرآن الكريم. سورة الأعراف 7: 156.

¹⁴⁶ الطبري. 2001. تفسير الطبري. ج: 6. ص: 98.

تَشْكُرُونَ¹⁴⁷. قال أبي زمنين: "ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله بالنهار وهذا رحمة من الله للمؤمن والكافر فهي رحمة له في الدنيا وليس في الآخرة النصيب"¹⁴⁸.

وقال صلى الله عليه وسلم مبينا هذه الرحمة العامة: "إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة"¹⁴⁹، وفي الرواية: "إنَّ لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فيها يتعاطفون، وبها يتراحمون وبها تعطفُ الوحشُ على ولدها، وأخر الله تسعًا وتسعين رحمةً، يرحمُ بها عباده يومَ القيامة"¹⁵⁰. فالرحمة الدنيوية تعم جميع الخلق، إنسها وجننها مؤمنها وكافرها طيرها ووحوشها. أما الرحمة الأخروية فلا ينالها إلا طائفة خاصة.

ثانيا: الصفات التي تستوجب بها رحمة الله تعالى الخاصة¹⁵¹:

- 1- الإيمان بالله تعالى. فالذين يقرون بوحداية الله تبارك وتعالى، وخلوه من الشريك والوالد والولد، وأنه قادر على كل شيء ويؤمنون بما أمر الله تعالى بإيمان به من الإيمان به و بملائكته واليوم الآخر والنبين والكتب والقدر خيره وشره سيدخلهم الله في رحمته تفضلا وتكريما. قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾¹⁵².

¹⁴⁷ القرآن الكريم. سورة القصص 28: 73.

¹⁴⁸ ابن أبي زمنين، محمد بن عبد الله. 2002. تفسير القرآن العزيز. القاهرة: الفاروق الحديثة. ج: 3. ص: 334.

¹⁴⁹ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: التوبة. باب: سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه. ص: 1262. #2753.

¹⁵⁰ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: التوبة. باب: سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه. ص: 1262. #2752.

¹⁵¹ العبادلة، حسن عبد الجليل. د:ت. "موجبات الرحمة الإلهية وموانعها: دراسة قرآنية". المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام. السعودية: جامعة الملك سعود. ص: 479-497. بخت، عمران عزت. 2009. الرحمة الإلهية: دراسة قرآنية. ص: 31-68. الغرامي، خليل بن إبراهيم. 2007. الرحمة

المهداة. جدة: دار القبلية للثقافة الإسلامية. ص: 29-35.

¹⁵² القرآن الكريم. سورة النساء 4: 175.

2- تقوى الله؛ طاعته ورسوله. فمن اتقى حدود الله وفعل ما أمر به، واجتنب ما نهي عنه، فسينال رحمة

الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾¹⁵³، وقال أيضا:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾¹⁵⁴.

3- اتباع القرآن الكريم والاستماع إليه. فمن آمن به وأقام حروفه وحدوده ولم يضيع ما فيه من الأوامر

والنواهي، فيكون من المرحومين. قال الله تعالى: ﴿وَأِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾¹⁵⁵، وكذلك المنصتون

والمستمعون له عند تلاوته فلم يعشوا ولا يسهون بل يتدبرون ويعقلون، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ

الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾¹⁵⁶.

4- إقام الصلاة وإيتاء الزكاة؛ والمقيمون الصلاة الذين أدوها بخشوع وتذل، وحافظوا على أركانها وسننها

وآدابها؛ فهؤلاء ممن ينال رحمة الله -تعالى-. وكذلك الذين أدوا زكاة أموالهم وفطرتهم فلا يمهلون ولا

ييطئون عن أدائها في وقتها. قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ

تُرْحَمُونَ﴾¹⁵⁷.

5- الجهاد في سبيل الله. وعد الله المجاهدين في سبيله بأموالهم وأنفسهم رحمة واسعة لهم في الدنيا والأخرى.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ

اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا. دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾¹⁵⁸،

وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ

¹⁵³ القرآن الكريم. سورة الأنعام 7: 155.

¹⁵⁴ القرآن الكريم. سورة آل عمران 3: 132.

¹⁵⁵ القرآن الكريم. سورة النمل 27: 77.

¹⁵⁶ القرآن الكريم. سورة الأعراف 7: 204.

¹⁵⁷ القرآن الكريم. سورة النور 24: 56.

¹⁵⁸ القرآن الكريم. سورة النساء 4: 95-96.

هُمْ الْفَائِزُونَ. يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ. خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ¹⁵⁹.

6- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فمن سلك سبيل الدعوة إلى الله على بصيرة، فقد أتى بابا من أبواب الرحمة لما في ذلك من فضل عظيم من صيانة الدين وحفظه ونشر العلم والعمل به. قال تعالى: ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾¹⁶⁰.

7- الإصلاح بين الناس. للمصلحين بين المتخاصمين، ممن يرجون الخير وراء ذلك، رحمة الله البالغة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾¹⁶¹.

8- الإحسان. دلت آيات كثيرة على أن الإحسان سبب من أسباب الرحمة قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾¹⁶².

9- الصبر. من أبواب الرحمة التي ذكرها القرآن الكريم الصبر على البلاء والامتحان، وهو ضد القنوط واليأس وهو من لوازم الإيمان قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾¹⁶³.

10- الاستغفار واجتناب المعاصي والمنكرات. من موجبات رحمة الله الاستغفار وهو طلب المغفرة من الله على ذنب أقرّف، وهو دلالة على احتياج العبد إلى ما بيد الله، وانكساره على مخالفته أمر ربه، وندمه على سوء أفعاله. قال تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾¹⁶⁴ وأيضا: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ

¹⁵⁹ القرآن الكريم. سورة التوبة 9: 20-22.

¹⁶⁰ القرآن الكريم. سورة التوبة 9: 71.

¹⁶¹ القرآن الكريم. سورة الحجرات 49: 10.

¹⁶² القرآن الكريم. سورة الأعراف 7: 56.

¹⁶³ القرآن الكريم. سورة البقرة 2: 156-157.

¹⁶⁴ القرآن الكريم. سورة النمل 27: 46.

ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ¹⁶⁵. وكذلك كراهية المقام مع أهل الباطل

واعترال المنكرات والشهوات من سبب الرحمة قال تعالى: ﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا

إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا¹⁶⁶.

ثالثا: موانع الرحمة الخاصة¹⁶⁷:

قد ذكرت الباحثة فيما أقسام الرحمة التي أوجدها الله تعالى إلى رحمة عامة وخاصة. وقد تكلمت الباحثة عن

موجبات الرحمة الخاصة. وفي هذا المقام ستذكر عديدا من موانع الرحمة الخاصة.

1- الكفر بالإيمان. ولما كان الإيمان من موجبات رحمة الله فسيكون ضده وهو الكفر من موانعها. قال

تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ¹⁶⁸﴾. وقال عن الذين يمحذون يوم

الآخرة: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاَكِبُونَ. وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّ

لَلَجُّوا فِي طُعْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ¹⁶⁹﴾.

2- القنوط من رحمة الله. فتح الله لعباده باب الرجاء، ولما قنط العبد من فضل الله تعالى حرمه الله عليه.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ¹⁷⁰﴾.

¹⁶⁵ القرآن الكريم. سورة المائدة 5: 39.

¹⁶⁶ القرآن الكريم. سورة الكهف 18: 16.

¹⁶⁷ العبادلة، حسن عبد الجليل. د.ت. "موجبات الرحمة الإلهية وموانعها: دراسة قرآنية". المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام. ص: 498-508.

الغرامى. 2007. الرحمة المهداة. ص: 33-36.

¹⁶⁸ القرآن الكريم. سورة البقرة 2: 89.

¹⁶⁹ القرآن الكريم. سورة المؤمنون 23: 74-75.

¹⁷⁰ القرآن الكريم. سورة يوسف 12: 87.

3- الظلم. فإن الظلم حاجز يحول الظالم من أن تتداركه رحمة الله تعالى، قال تعالى:

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾¹⁷¹.

4- اتباع الهوى والشيطان. لا يخفى على أحد أن اتباع الهوى لا يحمل صاحبه إلا إلى الشر وسوء العمل.

قال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾¹⁷².

وهكذا في اتباع الشيطان وعمله فإنه مبعّد عن الرحمة مقرب إلى الكفر واللعة قال تعالى: ﴿إِنَّ

الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾¹⁷³، وقال أيضا:

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا. لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ

نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾¹⁷⁴، فهو لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء، ولا يبين للناس إلا الطريق الملعون. ﴿إِنَّمَا

يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾¹⁷⁵.

5- المذنبون والمجرمون. ففاعل المنكرات والمعاصي بعيد من الرحمن، ومن رحمته وجنته، إذ هو يتنافى مع

صفة الرحمة، ولا يمكن أن يجتمعا، فلذلك يتفرقان ويتعدان. قال البقاعي: "المجرم من اكتسب سيئة

كبيرة"¹⁷⁶، قال الله تبارك تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ

وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾¹⁷⁷، وقال أيضا: ﴿كُلُّ

نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ. إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ. فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ. عَنْ الْمُجْرِمِينَ. مَا سَلَكَكُمْ فِي

¹⁷¹ القرآن الكريم. سورة آل عمران 3: 86-87.

¹⁷² القرآن الكريم. سورة يوسف 12: 53.

¹⁷³ القرآن الكريم. سورة فاطر 35: 6.

¹⁷⁴ القرآن الكريم. سورة النساء 4: 117-118.

¹⁷⁵ القرآن الكريم. سورة البقرة 2: 169.

¹⁷⁶ البقاعي. 1976. نظم الدرر. ج: 3. ص: 471.

¹⁷⁷ القرآن الكريم. سورة الأعراف. 7: 40.

سَقَر. قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ. وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ. وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ. وَكُنَّا نُكَذِّبُ بَيِّوْمَ

الدِّينِ. حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ. فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿١٧٨﴾.

المبحث الثاني: سعة رحمة الله وشمولها لجميع الإنسان:

في هذا المبحث، سنتناول الباحثة الرحمة العامة التي تعم الجميع في الحياة الدنيا. وقد قسمت الباحثة هذا المبحث إلى مطلبين، تتناول في أوله نصوص رحمة الله العامة، التي تشمل جميع الخلق وفي الثاني تحليل المقصود من رحمة النبي للعالمين.

المطلب الأول: سعة رحمة الله تعالى لجميع الخلق¹⁷⁹:

إن رحمة الله تعالى شملت جميع الأشياء، وقد كتبها سبحانه وتعالى على نفسه، فيرحم المسلم والكافر، الصالح والعاصي، المطيع والجاحد في الدنيا بالرزق والأمن والسعادة والمال والأسرة، ولكن لن يكرم بها من كفر به وعصاه في الآخرة. والنصوص في بيان سعة رحمة الله وشمولها لجميع الخلق كثيرة، سواء كانت في القرآن الكريم أو سنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم.

أولاً: ذكر القرآن الكريم لرحمة الله تعالى العامة:

1- لقد أنبأنا الله تعالى أنه كتب على ذاته العالية الكرمة المقدسة الرحمة فقال:

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ

مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٠﴾. فقد أوجب الله تعالى على ذاته

المقدسة صفة الرحمة، تفضلاً منه على عباده.

¹⁷⁸ القرآن الكريم. سورة المدثر. 74. 38-48.

¹⁷⁹ الغرامي. 2007. الرحمة المهداة. ص: 15.

¹⁸⁰ القرآن الكريم. سورة الأنعام: 6: 54.

2- أخبر الله تعالى بأن رحمته تشمل كل شيء، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي

وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾¹⁸¹. قال الحسن

وَقَتَادَةَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: أَيَّ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَهِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا خَاصَّةً.¹⁸²

3- إن الله تعالى مالك الرحمة فسيصرفها لمن يشاء من خلقه. قال تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأْ

يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾¹⁸³، وقال أيضا: ﴿وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ

لَهُمُ الْعَذَابُ﴾¹⁸⁴، وقال: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾¹⁸⁵. فبين الله تعالى أن لولا

رحمته، لعذب كل من كفر به، وكذب رسله، ولهدم كل بناء يعبد فيها غيره، لكن الله تعالى ذو رحمة فأجل العذاب وأخره ليتوب وليتفكر، أو على الأقل ليتمتعوا قليلا في هذه الحياة الدنيا.

4- تعليق العذاب على بعثة الرسل. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾¹⁸⁶، وقال أيضا:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾¹⁸⁷.

5- وما يدل على هذه الرحمة العامة أنه جعل القرآن الكريم كتاب رحمة وهدى وشفاء، يستطيع الجميع

أن يستفيد منه. فالمسلم يستفيد من هذا القرآن، ما ينجيه من عذاب الله، ويرشده إلى رضاه من عمل

وشريعة، أما غيره فيستفيد منه علومه، سواء كانت علوم حياة أو اقتصاد أو إبداع أو صيدلة أو طب

¹⁸¹ القرآن الكريم. سورة الأعراف 7: 156.

¹⁸² الطبري. 2001. تفسير الطبري. ج: 6، ص: 98.

¹⁸³ القرآن الكريم. سورة الإسراء 17: 54.

¹⁸⁴ القرآن الكريم. سورة الكهف 18: 54.

¹⁸⁵ القرآن الكريم. سورة الأنعام 6: 147.

¹⁸⁶ القرآن الكريم. سورة الإسراء 17: 15.

¹⁸⁷ القرآن الكريم. سورة القصص 28: 59.

أو صناعة أو تجارة أو هندسة، فكم من إبداعات حديثة منبعها من وحي الله تعالى. قال تعالى:

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾¹⁸⁸.

ثانيا: ذكر بعض الأحاديث التي دلت على سعة رحمة الله تعالى، وحثت المؤمنين بأن يكونوا ذوي رحمة لجميع

عباد الله:

1- ومن مظاهر هذه الرحمة العامة التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن رحمة الله سبقت غضبه، فلا يعذب من عصاه وكفر به مباشرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما خلق الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي"¹⁸⁹.

2- ومما يذكره النبي صلى الله عليه وسلم على وجود رحمة الله العامة التي أعطاها لجميع الخلق أنه خلق مائة رحمة وأنزل واحدة منها إلى الدنيا، فيقسم تلك الرحمة إلى جميع الخلق من الإنس مؤمنهم وكافرهم والحيوان والنباتات والجمادات وغير ذلك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جعل الله رحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه"¹⁹⁰، وقال أيضا: "إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تسعا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة"¹⁹¹.

¹⁸⁸ القرآن الكريم. سورة الأنعام 6: 154.

¹⁸⁹ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: التوبة. باب: سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه. ص: 1261. #2751.

¹⁹⁰ الحديث. البخاري. 1987. صحيح البخاري. كتاب: الأدب. باب: جعل الله الرحمة في مائة جزء. ج: 10. ص: 446. #6000. مسلم.

2006. صحيح مسلم. كتاب: التوبة. باب: سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه. ص: 1261. #2752.

¹⁹¹ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: التوبة. باب: سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه. ص: 1262. #2752.

3- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث أتباعه على أن يكونوا من الرحمين: "لا يرحم الله من لا

يرحم الناس"¹⁹². فالحديث علق رحمة الله تعالى للعبد على رحمته للناس أجمعين أيًا كان هؤلاء.

4- وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "لن تؤمنوا حتى ترحموا" قالوا كلنا رحيم يا رسول الله. قال: "إنه

ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة الناس رحمة العامة"¹⁹³. ففي الحديث السابق بيّن رسول الله

-صلى الله عليه وسلم- أنّ الإيمان يفتقر إلى الرحمة، وأنّها لا تختصّ برحمة الإنسان صاحبه، وإنّما أوسع

من ذلك؛ فتشمل رحمته جميع الناس.

5- وأيضا قوله صلى الله عليه وسلم أيضا: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من

في السماء"¹⁹⁴.

المطلب الثاني: رسول الله رحمة للعالمين¹⁹⁵:

لقد اختص الله تعالى رسوله بعدد من المزايا والكرام، منها أنه سبحانه وتعالى جعل رسالته رحمة لجميع

العالم، ولم تكن مخصوصة لنوع معين منه. فكانت رأفته وشفقته وسماحته ولينه تشمل جميع أجناس المخلوقات التي

تندرج تحت العالم. فعن أبي موسى الأشعري¹⁹⁶ أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء

¹⁹² الحديث. البخاري. 1987. صحيح البخاري. كتاب: الوحيد. باب: قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾. ج: 13. ص: 370.

#7376. الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الفضائل. باب: رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال. ص: 1095. #2319.

¹⁹³ الحديث. الهيثمي. 1994. مجمع الزوائد. كتاب: البر والصلة. باب: رحمة الناس. ج: 8. ص: 340. #13671. الحاكم. 1990. المستدرک

على الصحيحين. كتاب البر والصلة. ج: 4. ص: 282. #7389. باللفظ: "لا تدخلوا الجنة حتى ترحموا".

¹⁹⁴ الحديث. أبو داود. د.ت. سنن أبي داود. كتاب: الأدب. باب: الرحمة. ج: 4. ص: 285. #4942.

¹⁹⁵ الغرامي. 2007. الرحمة المهداة. ص: 59-64.

¹⁹⁶ هو عبد الله بن قيس بن سليم. قدم مع جعفر زمن فتح خيبر. واستعمله النبي مع معاذ على اليمن ولي لعمر الكوفة والبصرة. وإليه المنتهى في حسن

الصوت بالقرآن وكان من العلماء العاملين. توفي في ذي الحجة سنة أربع وأربعين. رضي الله عنه. (الصالحي، محمد بن أحمد. 1996. طبقات علماء

الحديث. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج: 1. ص: 84-85).

فقال: "أنا محمد، وأحمد، والمقفّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة"¹⁹⁷، وقال أيضا: "وإنما بعثني رحمة للعالمين"¹⁹⁸

وسوف تحرر الباحثة معنى شمولية رحمته صلى الله عليه وسلم في هذا المبحث من خلال قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾¹⁹⁹.

أولا: ابتداء الآية بآلة النفي²⁰⁰:

إن هذا النفي "ما" جاء بعده الحصر "إلا". والحصر بعد النفي يفيد الاستغراق، فيكون ما بعد النفي

مستغرقا فيما بعد الحصر فتكون رحمة بعثته صلى الله عليه وسلم مستغرقة لجميع الخلق، إنهم وجنهم مؤمنهم

وكافرهم كبيرهم وصغيرهم، وذلك لأن الاستثناء جاء مفرغا من كل العلل والأحوال، أي وما أرسلناك لعله من العلل

إلا لرحمتنا الواسعة. وقد روى الطبري عن ابن عباس²⁰¹ رضي الله عنهما أنه قال: "إن الله تعالى أرسل نبيه محمدا

رحمة لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم"²⁰². فهذه الرحمة التي اتصف بها النبي صلى الله عليه وسلم ليست مختصة لشخص

معين أو لفرقة معينة أو لخلق معين.

ثانيا: نكرة كلمة "رحمة":

إن كلمة "رحمة" جاءت نكرة، لتدل على أنها عامة وشاملة تستغرق جميع أفراد العالم²⁰³. فهو رحمة للعالم

في الدين والدنيا. أما في الدين، فلأنه بعث والناس في الجاهلية والضلالة، وأهل الكتاب في حيرة من أمر دينهم،

¹⁹⁷ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الفضائل. باب: في أسمائه صلى الله عليه وسلم. ص: 1261. #2355.

¹⁹⁸ الحديث. أبو داود. د. ت. سنن أبي داود. كتاب: السنة. باب: النهي عن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ج: 4. ص: 215.

#4659.

¹⁹⁹ القرآن الكريم. سورة الأنبياء: 21. 107.

²⁰⁰ الغرامي. 2007. الرحمة المهداة. ص: 100.

²⁰¹ هو عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي (3 ق. م-58 هـ). أسلم صغيرا ولازم النبي بعد الفتح وروى عنه. كفّ بصره في آخر عمره، كان يجلس للعلم فيجعل يوما للفقهاء ويوما للتأويل ويوما للمغازي ويوما للشعر ويوما لوقائع العرب وتوفي بالطائف.

²⁰² الطبري. 2001. تفسير الطبري. ج: 10. ص: 128.

²⁰³ الغرامي. 2007. الرحمة المهداة. ص: 100.

لطول مكثهم وانقطاعهم عن الأنبياء والمرسلين، فجاء رسول الله ليبين لهم طريق الحق والفوز في الآخرة، ويميز لهم الحلال من الحرام ووضح لهم الشريعة حتى تُركوا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها. وأما رحمته في الدنيا، فتتمثل بأن الناس تخلصوا بسببه من كثير من الذل والقتال، وأُجِّل لغير المؤمنين العذاب ولم يهلكهم الله بسبب كفر الكافر وعصيان العاصي، بل آخر ذلك ورزقهم من الطيبات والأهل وغير ذلك من النعم التي لا تحصى ولا تعد.

ثالثاً: مفهوم العالمين:

إن هذه الكلمة شاملة لجميع السماوات والأرض وما بينهما وباختصار أن العالم هو ما سوى الله تبارك وتعالى²⁰⁴. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾²⁰⁵. فجواب موسى لاستفسار فرعون عن كلمة العالمين بأنه السماوات وما تحتها، والأرض وما فيها وما فوقها. فالله تعالى أيضاً وصف نفسه برب العالمين، مثل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾²⁰⁶ فكل ما كان الله تعالى له إلهاً جعل نبيه محمد لذلك رحمة. ثم إنه تعالى جمع العالم على صيغة العالمين، وهي صيغة جمع قلة للعقلاء من الخلق، مع أن جمع كثرته تكون بـ "العوالم" وتشمل العقلاء وغير العقلاء، تغليبا للأشراف من الخلق على غيرهم.

وعدي هذا الإرسال باللام ولم يعدّها بالباء أي "بالعالمين" لأن اللام تفيد الملك، والذي يعبر عنه بالاستحقاق والاختصاص ليدل على أن هذه الرحمة ملك للعالمين، وأنها تستحقها وتختص بها. فهي ثابتة ثبوت الملك للمالك، فلا تنفك. بخلاف ما إذا عدي بالباء فإنها لا تفيد هذا المعنى، بل يفيد التبعض يعني لو قال

²⁰⁴ مقدم، ماهر عبد الحميد. د:ت. شرح الدعاء من الكتاب والسنة. الرياض: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان. ص:105. الفوزان، عبد الله بن

صالح. د:ت. حصول المأمول بشرح ثلاثة أصول. الرياض: مكتبة الرشد. ص:56.

²⁰⁵ القرآن الكريم. سورة الشعراء 26: 23-24.

²⁰⁶ القرآن الكريم. سورة الفاتحة 1: 2.

"بالعالمين" سيكون المعنى أن هذه الرحمة مختص ببعض العالم، وهو المؤمن فقط ولا تشمل غيرهم. ومما يؤكد على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما أنا رحمة مهداة"، والهدية تفيد تمليكاً بدون مقابل²⁰⁷.

المبحث الثالث: مظاهر رحمة النبي صلى الله عليه وسلم لأُمَّته:

لقد وضّحت الباحثة فيما سبق وجود الرحمة العامة التي تعم الخلق أجمعه، كما ذكرت أيضاً أن الرحمة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم من جنسها، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾²⁰⁸. وفي هذا المبحث ذكرت الباحثة جملة من مظاهر رحمته صلى الله عليه وسلم لأُمَّته. فقسمت هذا المبحث إلى مطلبين ذكرت في أولهما شمول رحمة النبي صلى الله عليه وسلم لجميع أُمَّته وتناولت في الآخر مظاهر رحمته لغير المسلمين من أُمَّته.

المطلب الأول: مظاهر رحمة النبي صلى الله عليه وسلم لجميع أُمَّته:

عدّ النبي صلى الله عليه وسلم أرحم العباد للعباد. وزخرت كتب السير والأحاديث بالقصص والمرويات التي تدل على سعة رحمته، ومن أمثلة ذلك:

1- دعاؤه المتكرر ألا يعذب الله هذه الأمة بما عذب به الأمم السابقة وأن يهديهم:

قال ثوبان رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء لا يرد، وأني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم،

²⁰⁷ الغرامي. 2007. الرحمة المهداة. ص: 103-106.

²⁰⁸ القرآن الكريم. سورة الأنبياء 21: 107.

ولو اجتمع عليهم من بأقطارها"²⁰⁹. وعن سعد بن أبي وقاص²¹⁰ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني ثنتين، ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها"²¹¹.

ومن قبل هذا النوع كثرة تردده: "اللهم اغفر لأمتي"²¹²، فإنه لم ينس أمته قط، ويتمنى الهداية والمغفرة لهم مع أنهم آذوه. فلم يرد أنه سأل ربه لنفسه، وغفل عن أمته بل العكس حيث سأل ربه أمر أمته ولم يذكر نفسه إلا نادراً. وهذا خلافاً لما عليه الأنبياء حينما قالوا في الحشر "نفسى، نفسى"²¹³. فهو حريص على أن يهدي الله أمته ويخلصهم من الهم والغم، ويعز عليه ما يشق أمته. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾²¹⁴. وقال صلى الله عليه وسلم: "إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراس يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم، وأنتم تقحمون فيه"²¹⁵.

فهو على خلاف بعض الأنبياء قبله الذين دعوا على قومهم بالهلاك لما آذوه وتآمروا عليهم، كقوله تعالى حاكياً عن نوح عليه السلام: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا. إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾²¹⁶. وكذلك إبراهيم عليه السلام اقتصر دعائه للمؤمنين برسالته فقط دون غيرهم فتعقب الله تعالى على ذلك فقال إن رزقه وسع لمن آمن به ومن لم يؤمن به فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا

²⁰⁹ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الفتن وأشراط الساعة. باب: هلاك هذه الأمة بعضها ببعض. ص: 1321. #2889.

²¹⁰ هو سعد بن أبي وقاص أبو إسحاق الزهري. أحد العشرة المشهود لهم بالجنة. وأول من رمى بسهم في سبيل الله. وكان مجاب الدعوة، اعتزل الفتنة فلم يقاتل مع علي بن أبي طالب أو معاوية بن أبي سفيان. توفي سنة خمس وخمسين. رضي الله عنهم أجمعين. (الصلحي. 1996. طبقات علماء الحديث. ج: 1. ص: 84).

²¹¹ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الفتن وأشراط الساعة. باب: هلاك هذه الأمة بعضها ببعض. ص: 1321. #2889.

²¹² الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: صلاة المسافرين وقصرها. باب: يبايع على أن القرآن على سبعة أحرف. ص: 366. #820.

²¹³ البخاري. 1987. صحيح البخاري. كتاب: التفسير باب: ﴿ذرية من حملنا نوح إنه كان عبداً شكوراً﴾ ج: 8. ص: 247. #4712.

²¹⁴ القرآن الكريم. سورة التوبة 9: 128.

²¹⁵ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الفضائل. باب: شفقتي صلى الله عليه وسلم على أمتي ومبالغته في تحذيرهم. ص: 1084.

#2284.

²¹⁶ القرآن الكريم. سورة نوح 71: 26-27.

بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ²¹⁷.

2- أنه لم يترك أمته ولم يتبرأ منهم، بل سعى إلى إنقاذهم بأي وسيلة كانت.

ويدل على هذا استغفاره وصلاته على عبد الله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين، ففيه قوله لعمر: "إني خيرت فاخترت، ولو أعلم أبي إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها"²¹⁸، ودعاؤه كما سبق: "اللهم أمتي، أمتي"²¹⁹، فهو دعاء عام يشمل جميع أمته. هذا بخلاف موسى -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- لما تبرأ من فاسقي أمته، قال الله تعالى مخبرا عن ذلك: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾²²⁰.

3- أن الدين الذي جاء به دين السماحة واليسر لجميع الخلق:

فمن مظاهر رحمته العامة أن دينه دين يسر لا عسر فيه، دين سماحة لا حرج فيه، سواء على معتنقيه أو غيرهم. فهذا الدين لا ينزل ليشقي المسلمين أو غيرهم، أو ليتضيق به الناس بل ليشعر جميع الناس رحمته وشفقته ويسره ومرونته وسهولته في المعاملة بين أفراد المجتمع دون أن ينظر إلى معتقدااتهم وجنسهم. وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا"²²¹، وقال أيضا: "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"²²²، وفي رواية أخرى: "يسروا ولا تعسروا،

²¹⁷ القرن الكريم. سورة البقرة 2: 126.

²¹⁸ الحديث. البخاري. 1986. صحيح البخاري. كتاب: الجنائز. باب: ما يكره من صلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين. ج: 3. ص: 270. #1366.

²¹⁹ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الإيمان. باب: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمتة. ص: 114. #202.

²²⁰ القرآن الكريم. سورة المائدة. 5: 25.

²²¹ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الطلاق. باب: بيان أن تخيير أمراته لا يكون طلاقا إلا بالنية. ص: 680. #1478.

²²² الحديث. البخاري. 1987. صحيح البخاري. كتاب: الإيمان. باب: الدين يسر. ج: 1. ص: 116. #29.

وبشروا ولا تنفروا²²³، وقال أيضا: "إن خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره"²²⁴. ونهى النبي عن الغلو في الدين بقوله: "إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"²²⁵. وقال: "تعلموا اليهود أن في ديننا فسحة، إني أرسلت بحنفية سمحة"²²⁶.

ففي هذه الآيات والأحاديث ما يدل على أنّ ديننا الإسلامي مبني على التيسير للناس في جميع شؤونهم خصوصا في معاملة بعضهم بعضا. فهى الشارع أن يكون أسس التعامل بين المسلمين وغيرهم مبنيا على الضيق والحرَج، والعسر والنفرة. فهى عن التشدد والغلو في الدين، ومنها في مجال التعامل بين الناس.

المطلب الثاني: مظاهر رحمة النبي صلى الله عليه وسلم لغير المسلمين من أمته²²⁷:

تحدثت الباحثة فيما سبق أنّ الرحمة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم تشمل جميع أمته بدون استثناء، ولو كانت درجة هذه الرحمة متفاوتة ومتغايرة بعضها عن بعض. وفي هذا المطلب، تناولت الباحثة أمثلة من مظاهر رحمته وشفقته صلى الله عليه وسلم على غير المسلمين من أمته:

1- عدم دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على من ظلمه وكفر به بانتقام وهلاك ولعنة:

هذا من أعظم مظاهر رحمته -عليه الصلاة والسلام- بغير المسلمين إذ لا يدعو عليهم ولو آذوه وظلموه، وسالوا دماء، وآذوا روح أقربائه وأصحابه بل دعا لهم بالهداية ولم يرد لهم الفناء والانتقام. فعندما رماه أهل الطائف بالحجارة

²²³ الحديث. البخاري. 1987. صحيح البخاري. كتاب: العلم. باب: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا. ج: 1. ص: 196. #69. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الجهاد والسير. باب: الأمر بالتيسير وترك التنفير. ص: 830. #1734.

²²⁴ الحديث. أحمد. 2001. المسند. ج: 25. ص: 284. #15936.

²²⁵ الحديث. النسائي. 2009. سنن النسائي. كتاب: مناسك الحج. باب: التقاط الحصى. ج: 3. ص: 285. #3057. ابن ماجه. د.ت. سنن ابن ماجه. كتاب: المناسك. باب: قدر حصي الرمي. ج: 2. ص: 1008. #3029.

²²⁶ الحديث. أحمد. 2001. المسند. ج: 43. ص: 115. #25962.

²²⁷ الغرامي. 2007. الرحمة المهداة. ص: 465.

وآذوه كثيرا، جاءه ملك الجبال ليستأذنه بأن يطبق عليهم الجبلين العظيمين، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم: "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا"²²⁸.

وكذلك امتنع أن يلعن الكفار حين طلب أصحابه ذلك عند اشتداد ظلمهم، فقال: "إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة"²²⁹. وعن أبي هريرة²³⁰ قال: قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، إن دوسا عصت وأبت، فادع الله عليها. فقيل: هلكت دوس، فقال: "اللهم اهد دوسا، وأت بهم"²³¹.

ودعى بدعائه المشهور يوم أحد بعدما جرح جرحا بليغا، وقتل عمه وأصحابه ومثّل بهم: "رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"²³². فرسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال يعترف ويعتبر أهل مكة من قومه، ومنهم من له صلة به مع أنهم أخرجوه وأرادوا قتله وظلموه. وهذا كله يدل على مدى شفقتة ورحمته ورأفته حيث أسقط حقه وسأل الله تعالى العفو والمسامحة لمن عاداه.

2- وما يدل على رحمته: ما حصل يوم الفتح من أدائه الأمانة وأنه مسلم يحب السلم بين المجتمع ويسعى وراءه.

²²⁸ الحديث. البخاري. 1987. صحيح البخاري. كتاب: بدء الخلق. باب: إذا قال أحدكم "أمين" والملائكة في السماء فوافقت إحداها الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه. ج: 6 ص: 360. #3231. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الجهاد والسير. باب: ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين. ص: 864. #1795.

²²⁹ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: البر والصلة. باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها. ص: 1204. #2599.

²³⁰ الدوسي، اليمني، الفقيه، الحافظ. كان اسمه عبد الرحمن بن صخر سماه النبي بذلك بعد أن كان اسمه في الجاهلية عبد شمس. قدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليألي خيبر بعدما فرغ من القتال. توفي رضي الله عنه سنة ثمان وخمسين. (الصالح). 1996. طبقات علماء الحديث. ج: 1. ص: 91-92.

²³¹ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: فضائل الصحابة. باب: من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيء. 1174-1175. #2524.

²³² الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الجهاد والسير. باب: غزوة أحد. ص: 862. #1792. البخاري. 1987. صحيح البخاري. كتاب: أحاديث الأنبياء. باب: حديث الغار. ج: 6. ص: 593. #3477.

فقد وقعت عدة قصص في يوم الفتح دلت على رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بغير المسلمين. فهذه المظاهر توحى بأنه لم يكن جباراً منتقماً على ما فعل الكفار به وبأصحابه طوال فترة مكة والمدينة من القتل والإخراج والسبي والتعذيب والحصار وغير ذلك. فمع كل هذا لم يقابلهم بجرمهم بل أبدى العفو والمسامحة والرحمة، حتى نفى أن يوم الفتح هو يوم المرحمة حين هتف بما سعد بن عباد بل قال: "يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم يعز الله فيه قريشاً"²³³. ولم يكتف بنفيه بما قاله سعد بل نزع عنه الراية، وأعطاهما لغيره خوفاً من أن يحصل لهؤلاء المشركين القتل وما يؤذيهم.

وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم الأمان للجميع واعترف بحقوقهم، وحقوق معالم بلدهم، وحق زعيمهم فقال: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح، فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن"²³⁴. وأنكر النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ القتال واجتنبه ولما علم أن القتال قد وقع لجيش خالد مع بعض قريش سألته واستفسره، فقال له: "لم قتلت وقد نهيته عن القتال؟ فقال: "هم بدؤونا بالقتال، ووضعوا فينا السلاح، وقد كففت يدي ما استطعت" فقال: "فضاء الله خير"²³⁵. وتنتج عن هذا الأمن العام إطلاق جميع كما أطلق -عليه الصلاة والسلام- سراح جميع الأسرى يوم الفتح، فقال النبي لهم: "ما تظنون أي فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"²³⁶.

²³³ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي. 1996. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية. بيروت: دار الكتب العلمية. ج:3. ص:409. الندوي، علي أبو الحسن. 1425هـ. السيرة النبوية. دمشق: دار ابن كثير. ص:453. المقرئ، أحمد بن علي. 1999. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفلة والمتاع. بيروت: دار الكتب العلمية. ج:8. ص:386.

²³⁴ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الجهاد والسير. باب: فتح مكة. باب: ص:857. #1780.

²³⁵ البيهقي، أحمد بن الحسين. 1405هـ. دلائل النبوة. بيروت: دار الكتب العلمية. ج:5. ص:48. الحلبي، علي بن إبراهيم. 1427هـ. سيرة الحلبية. بيروت: دار الكتب العلمية. ج:3. ص:120. الواقدي، محمد بن عمر. 1989. المغازي. بيروت: دار الأعلمي. ج:2. ص:839.

²³⁶ ابن حبان، محمد. 1427هـ. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء. بيروت: الكتب الثقافية. ج:1. ص:337. المقرئ. 1999. إمتاع الأسماع. ج:8. ص:387. الزرقاني. 1996. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية. ج:3. ص:449.

كما ظهر منه صلى الله عليه وسلم الوفاء في هذا اليوم، حين أعطى مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة²³⁷، وقد طلبه منه صلى الله عليه وسلم جملة من أهل بيته وقرابته، كعلي بن أبي طالب²³⁸ فأبى أن يعطي هذا المفتاح إلا لعثمان بن طلحة وقد كان هذا المفتاح معه أيام جاهليته. روى مسلم، أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عثمان بن طلحة فقال: "اتّني بالمفتاح" فذهب إلى أمه، فأبت أن تعطيه، فقال: والله لتعطينيه أو ليخرجن هذا السيف من صلي. قال: فأعطته إياه، فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فدفعه إليه ففتح الباب. ولما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره دفع مفتاح الكعبة إلى عثمان وقال: "خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة، إني لم أدفعها إليكم، ولكن الله دفعها إليكم، ولا ينزعها منكم إلا ظالم"²³⁹.

وفي رواية: أن علياً رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: اجمع لنا الحجابة والسقاية فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾²⁴⁰. فدعا عثمان فقال: "خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم"²⁴¹. ففي هذه القصة، علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته الوفاء ولو مع غير المسلمين، وأن على المسلمين آداء حقوقهم سواء كانت الحقوق مالية أو اجتماعية أو قرابة.

3- ومن مظاهر رحمته صلى الله عليه وسلم بغير المسلمين، أنه لم يرض هلاكهم بل أغاثهم:

²³⁷ هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، واسم أبي طلحة، عبد الله بن عبد العزى، القرشي البغدري الحنفي. قُتل أبوه وعمه يوم أحد كافرين وكذا أخوه مسافع والاس والحارث والكلاب كافرا. وتوفي سنة اثنتين وأربعين وقيل استشهد يوم أجنادين. (ابن الأثير، د.ت. أسد الغابة، ج:3، ص:533).
²³⁸ هو علي بن أبي طالب. ولد قبل البعثة بعشر سنين. ابن عم النبي وزوج فاطمة بنت رسول الله وأب سيد شباب أهل الجنة الحسن والحسين. وأحد عشرة مبشرة لهم بالجنة أول من أسلم من الصبيان تربي في حجر النبي ﷺ، ولم يفارقه وشهد جميع مشاهد رسول الله ﷺ إلا تبوك حلقة النبي ﷺ على زوجاته وأهله. وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد. ومناقبه كثيرة تولى خلافة بعدما استشهد عثمان بن عفان إلى أن استشهد في ليلة السابع عشر من رمضان سنة أربعين من الهجرة بعد أن ظل خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف. ضربه ابن ملجم بسيف مسموم على رأسه حين خروجه لصلاة الفجر إلى مسجد الكوفة. (ابن حجر، د.ت. الإصابة، ج:2، ص:507 & 510).

²³⁹ الحديث. مسلم، 2006، صحيح مسلم، كتاب: الحج، باب: استحباب دخول الكعبة للحج وغيره والصلاة فيها، ص:603. #1329.

²⁴⁰ القرآن الكريم، سورة النساء 4: 58.

²⁴¹ الحديث، الطبراني، د.ت. المعجم الأوسط، ج:1، ص:155. #488.

لما منع الله تعالى عن أهل مكة المطر، فأهلك وأفسدت النباتات والبهائم، وأصابهم الجوع والعطش حتى رأوا بينهم وبين السماء الدخان لشدة جوعهم وعطشهم أتى أبو سفيان النبي وقال له: استغفر الله لمضر فإنهم قد هلكوا. فاستسقى لهم فمبقوا²⁴² وأنزل الله قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾²⁴³. وكذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية أن يرسل إلى أهل مكة قوتهم بعد أن منعه حينما أسلم، وكان هذا الأمر تلبية لإغاثة أبي سفيان حين كتب بأن أهل مكة قد جهدت بسبب انقطاع قوتهم من اليمامة²⁴⁴.

4- وما يدل على رحمته بغير المسلمين أنه يراعي شعورهم:

روى البخاري²⁴⁵ أن يهوديا اشتكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن بعض أصحابه ضربه عندما قال: "والذي فضل موسى على العالمين" فغضب النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يرض ذلك القول وبين فضل موسى -عليه السلام- فقال: "لا تخيروني على موسى"²⁴⁶ وفي رواية: "لا تخيروني بين الأنبياء"²⁴⁷. وفيها دلالة على المراعاة والمحافظة على شعور غير المسلمين بعدم تنقيص رسولهم، ولو كان ذلك حقا، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد الناس"²⁴⁸.

5- ومن دلالة رحمته بغير المسلمين، أنه أمر بصلتهم وحسن معاشرتهم وعدم قطعهم:

²⁴² الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: صفة القيامة والجنة والنار. باب: الدخان. ص: 1289. #2798. البخاري. 1987. صحيح البخاري. كتاب: التفسير. باب: ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. ج: 8. ص: 434-435. #4821.

²⁴³ القرآن الكريم. سورة الدخان 44: 15.

²⁴⁴ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الجهاد والسير. باب: ربط الأسير وحبسه. ص: 844-845. #1764.

²⁴⁵ هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو عبد الله، البخاري (194-256هـ). مات أبوه وهو صغير فكفلته أمه. ومن شيوخه يحيى بن يحيى وشريح بن نعمان وغيرهما. وأخذ عنه ابن خزيمة والبيهقي والترمذي وغيرهم. ومن تصانيفه "الأدب المفرد" و"الجامع الصحيح". (رمزي، أحمد مختار. 2005م. سير أعلام المحققين. بيروت: دار البشائر الإسلامية. ص: 137)

²⁴⁶ الحديث. البخاري. 1987. صحيح البخاري. كتاب: الرقاق. باب: نفخ الصور. ج: 11. ص: 374-375. #6517. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الفضائل. باب: من فضائل موسى. ص: 1114. #2373.

²⁴⁷ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الفضائل. باب: من فضائل موسى. ص: 1114. #2374.

²⁴⁸ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الإيمان. باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها. ص: 110. #194.

ومن رحمته التي شملت جميع المخلوقات ولو كافرا، أنه لم يقطع صلة الرحم بين الأقارب، ولو كانت أديانهم مختلفة، بل يأمر المسلمين بأن يبروا أقاربهم الكافرين. روت أسماء: "قدمت عليّ أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم مع أبيها، فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن أمي قدمت عليّ وهي راغبة، أفأصلها؟" قال: "نعم صليها"²⁴⁹. وعن عبد الله بن الزبير قال: "قدمت قتيلة بنت عبد العزى على بنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب وأقط وسمن، وهي مشركة، فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها، فسألت عائشة²⁵⁰ النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله - عز وجل - ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾²⁵¹ فأمرها أن تقبل هديتها، وأن تدخلها بيتها"²⁵².

ومما يدل على طيب صلته بغير المسلمين أنه عاد مرضاهم، فعن أنس قال: كان غلام يهودي يخدم النبي، فمرض فأتاه النبي يعوده، فقعد عند رأسه فقال له صلى الله عليه وسلم: "أسلم" فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: "أطع أبا القاسم" فأسلم، فخرج النبي وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار"²⁵³. ومن مظاهر ذلك احترامه للإنسانية دون أن ينظر إلى الدين والقوم، فعن جابر²⁵⁴ رضي الله عنه: مر بنا جنازة فقام لها النبي صلى الله عليه وسلم، وقمنا به. فقلنا: يا رسول الله، إنها جبانة يهودي. قال: "إذا رأيتم الجنازة فقوموا"²⁵⁵. وتأسى الصحابة واتبعوا هذه القدوة والأسوة العظيمة فثبت أن قيس بن سعد وسهل بن حنيف رضي الله عنهما كانا قاعدتين

²⁴⁹ البخاري. 1986. صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري. كتاب: الجزية والموادعة. باب: إثم من عاهد ثم غدر. ج: 6. ص: 324. #3183.
²⁵⁰ هي عائشة الصديقة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - (9 ق م - 58 هـ). أم المؤمنين وأفقه نساء المسلمين، كانت أديبة عالمة، كُتبت بأمر عبد الله، وكان أكابر الصحابة يراجعونها في أمور الدين. (بحر مراد. 2004. معجم تراجم أعلام الفقهاء. ص: 195)
²⁵¹ القرآن الكريم. الممتحنة. 60: 8.

²⁵² الحديث. أحمد. 1995. المسند. ج: 12. ص: 459. #16056. (إسناده صحيح)

²⁵³ الحديث. البخاري. 1987. صحيح البخاري. كتاب: الجنائز. باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلي عليه. ج: 3. ص: 259. #1356.

²⁵⁴ ابن عمرو بن حرام، أبو عبد الله الأنصاري. مفتي المدينة المنورة. كان آخر من شهد بيعة العقبة في السبعين من الأنصار. لم يشهد بدرا ولا أحدا وشهد الخندق وما بعده كما شهد بيعة الرضوان. توفي رضي الله عنه سنة ثمان وسبعين. (الصالح. 1996. طبقات علماء الحديث. ج: 1. ص: 97-98).

²⁵⁵ الحديث. البخاري. 1987. صحيح البخاري. كتاب: الجنائز. باب: من قام لجنازة يهودي. ج: 3. ص: 259. #1311. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الجنائز. باب: القيام للجنازة. ص: 426. #959.

بالقادسية، فمرت بهما جنازة فقاما. فقليل لهما: إنها من أهل الأرض (أي من أهل الذمة) فقالا: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت علينا جنازة، فقام، فقليل له: إنها جنازة يهودي، فقال: "أليست نفساً؟"²⁵⁶.

ومن حسن معاشرته لغير المسلمين، أنه نحى أن يفرق بينهم. قال علي بن أبي طالب: "وهب لي رسول الله غلامين أخوين، فبعت أحدهما، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "يا علي ما فعل غلامك؟ فأخبرته، فقال: "رده، رده"²⁵⁷ وفي رواية: "أدركهما فارتجعهما ولا تبعهما إلا جميعاً ولا تفرق بينهما"²⁵⁸. وعن أبي أيوب²⁵⁹ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من فرق بين الوالدة وولدها، فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة"²⁶⁰. ومن هذا القبيل أمر النبي بالرفق بالذمي عند أخذ الجزية، حيث أوجب عليهم المال فإن عجزوا عنه فما يعادله. فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن أمره أن يأخذ من كل حالم ديناراً أو عدله معافراً²⁶¹.

وقد اقتدى الصحابة في هذا الرفق بالذمي، فعن عروة أن هشام بن حكيم بن حزام وجد عياض بن غنم وهو على حصص شمس ناساً من النبط في أخذ الجزية فقال هشام بن حكيم: ما هذا يا عياض؟ إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا"²⁶². وعن جبير بن نفير أن عمر بن

²⁵⁶ الحديث. البخاري. 1987. صحيح البخاري. كتاب: الجنائز. باب: من قام لجنازة يهودي. ج: 3. ص: 259. #1312. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الجنائز. باب: القيام للجنازة. ص: 426. #961.

²⁵⁷ الحديث. الترمذي. 1983. سنن الترمذي. كتاب: البيوع. باب: كراهية أن يفرق بين الأخوين أو بين الوالدة وولدها في البيع. ج: 2. ص: 376. #1302.

²⁵⁸ الحديث. أحمد. 2001. المسند. ج: 2. ص: 309. #1045.

²⁵⁹ اسمه خالد بن زيد بن كليب الخزرجي النجاري. شهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد مع رسول الله وكان مع علي بن أبي طالب ومن خاصته. وهو الذي نزل عليه رسول الله حين قدم المدينة مهاجراً إلى أن بنى مسجده. توفي سنة إحدى وخمسين حين غزا أرض الروم، فدفن عند مدينة القسطنطينية. (ابن الأثير. د.ت. أسد الغابة. ج: 6. ص: 20-21).

²⁶⁰ الحديث. الترمذي. 1983. سنن الترمذي. كتاب: البيوع. باب: كراهية أن يفرق بين الأخوين أو بين الوالدة وولدها في البيع. ج: 2. ص: 376. #1301.

²⁶¹ الحديث. النسائي. 2009. سنن النسائي. كتاب: الزكاة. باب: زكاة البقر. ج: 2. ص: 743. #2450. أبو داود. د.ت. سنن أبي داود. كتاب: الزكاة. باب: زكاة السائمة. ج: 2. ص: 101. #1576.

²⁶² الحديث. أبو داود. د.ت. سنن أبي داود. كتاب: الخراج والإمارة والفقه. باب: التشديد في جباية الزكاة. ج: 3. ص: 169. #3045.

الخطاب²⁶³ أتي بمال كثير، قال أبو عبيد أحسب قال: من الجزية، فقال: "إني أظنكم قد هلكتم الناس. قالوا: لا والله، ما أخذنا إلا عفوا صفوا. قال: "بلا سوط ولا نوط؟ قالوا: نعم. قال: "الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي ولا في سلطاني"²⁶⁴. والأمر أبعد من هذا، فقد أجرى للذمي عطاء من بيت المسلمين فقد روي أن عمر بن الخطاب مر بشيخ من أهل الذمة، يسأل على أبواب الناس فقال: "ما أنصفناك، إنا كنا أخذنا منك الجزية في شببتك ثم ضيعناك في كبرك، فأجرى عليه من بيت المال ما يصلحه"²⁶⁵.

6- ومن مظاهر رحمته لغير المسلم أنه يقدرهم ويعترف بفضلهم، ولم ينكر ذلك لكفرهم:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾²⁶⁶. فأصبح رسول الله مثالا حيا لهذه الآية، حينما اعترف بقدر غير المسلمين وفضلهم. وقد ذكر علي بن أبي طالب أنه لما أتي بسبايا طيء، قامت امرأة فطلبت من النبي أن يفكهم ويخلي سبيلهم فقالت: "يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب، فإني ابنة سيد قومه، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام، ويفشي

²⁶³ هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص. ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من أشرف قريش وإليه كانت السفارة. وأسلم عمر بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة، وقد دخل النبي دار الأرقم. والتي p قد دعا: "اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام" يعني أبا جهل. وشهد بدرا وغيره من المشاهد مع رسول الله p. وحدث في خلافته بعد أن توفي أبو بكر فتوحا كثيرا، فإنه فتح العراق والشام ومصر والجزيرة وأرمينية وأذربيجان وبلاد فارس وديار بكر وغيرها كما غنم غنيمة كبيرة أغنى الله بها بلاد المسلمين. وطعنه أبو لؤؤة عبدا للمغيرة وهو يصلي الصبح إماما فتوفي من هذه الطعنة. وكان الطعن يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وتوفي يوم الخميس، ودفن يوم الأحد صباح الحرم. وكانت خلافته عشرة سنين خمسة أشهر وأحدا وعشرين يوما. (ابن الأثير. د.ت. أسد الغابة. ج:4. ص:125، 126، 132، 149 & 151).

²⁶⁴ الحديث. سلام، أبو عبيد القاسم. 2007. الأموال. ج:1. ص:100. #118. السعودية: دار الفضيلة.

²⁶⁵ الزيلعي. د.ت. نصب الراية. كتاب: السير. ج:3. ص:453. #4.

²⁶⁶ القرآن الكريم. سورة المائدة 5: 8.

السلام، ولا يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم طيء". فقال النبي: "يا جارية هذه صفة مؤمن حقا، لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه، خلو عنها، فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق"²⁶⁷.

وقال صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر: "لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له"²⁶⁸. فهذا اعتراف منه للمطعم، وكرامة له لما له من موقف في نقض الصحيفة الظالمة التي كتبها قريش يمنع من خلالها صلة الرحم وغير ذلك من مكارم أخلاقه. كما اعترف النبي بعبد الله بن جدعان الذي يطعم الناس ويفرج كربهم. وقال ابن عباس تأسيا برسوله وابن عمه: لو قال لي فرعون بارك الله فيك، قلت: وفيك وفرعون قد مات²⁶⁹.
7- ومن رحمته التي تستغرق الخلق أنه أوصى بهم خيرا: فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنكم ستفتحون أرضا يقال له القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة ورحما . . ." ²⁷⁰.

الفصل الثالث: تحقيق الأمن في المجتمع مقصد شرعي ضروري.

إن الإسلام يهتم بالأمن اهتماما بالغا، فيتطلع إلى إيجاده، ويسعى إلى نشره وإثبات قواعده. ولقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كل عمل يبعث الأمن والاطمئنان في نفوس الإنسان ولو كان في ميدان القتال، فنهى عن قتل الصبيان، ومنع أن تمس النساء بالسوء كما لم يجز قطع الشجر وعملية التخريب. ولم يكن الأمن محصورا في أمن النفس فقط بل يتعدى إلى ما هو أشمل منه من خلال الأمن القومي والاجتماعي. فاستقرار الأوطان والمجتمع وأمنها عنصر ضروري لتوفير بيئة مناسبة للعيش والبناء، ولذا قرن سيدنا إبراهيم الدعاء بتحقيق الأمن مع

²⁶⁷ الحديث. البيهقي. 1405هـ. دلائل النبوة. ج: 5. ص: 341. الحلي. 1427هـ. سيرة الحلبية. ج: 3. ص: 288. ابن كثير، إسماعيل بن عمر.

1395هـ. السيرة النبوية. بيروت: دار المعرفة. ج: 4. ص: 132.

²⁶⁸ الحديث. البخاري. 1987. صحيح البخاري. كتاب: فرض الخمس. باب: ما من النبي صلى الله عليه وسلم على الأسارى من غير أن يخمس. ج: 6. ص: 280. #3139.

²⁶⁹ البخاري. د.ت. الأدب المفرد. ص: 376. #1128.

²⁷⁰ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: فضائل الصحابة. باب: وصية النبي بأهل مصر. ص: 1185. #2543.

الدعاء بنفي الشرك وتحقيق التوحيد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾²⁷¹.

ولأهمية الأمن في الحياة جاء هذا الفصل لتدرس فيه الباحثة مدى صلاحية إلحاق الأمن بالمقاصد الضرورية. ولتحقيق ذلك فقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث. ففي المبحث الأول، عرّفت فيه الباحثة مفهوم مقاصد الشريعة وبينت أهميتها وفوائدها. ثم في المبحث الثاني ذكرت الباحثة، ترتيب مقاصد الضروريات الخمسة وإضافة المقصد الجديد عليها. وتناولت في المبحث الثالث عن مكانة الأمن في الإسلام وكونه من مقاصد شرعي ضروري. المبحث الأول: مفهوم مقاصد الشريعة وأهميتها وفوائدها:

قسمت الباحثة هذا المبحث إلى خمسة مطالب. تذكر في أولها عن مفهوم المقاصد، وفي الثاني عن معنى الشريعة، وفي الثالث بيان المراد من مقاصد الشريعة كلقب لعلم مستقل. ثم تحدثت الباحثة في المطلب الرابع عن أهمية علم مقاصد الشريعة وفي المطلب الأخير عن فوائدها.

تتكون عبارة "مقاصد الشريعة" من لفظين، وهو من قبيل المركب الإضافي، فيلزم منه تعريف كل كلمة على حدة قبل أن يعرف كلقب لعلم مستقل. وبذلك ستقسم الباحثة هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، المطلب الأول: مفهوم المقاصد:

مقاصد جمع لمقصد وهو مصدر لفعل (قَصَدَ - يَقْصِدُ - قَصْدًا وَمَقْصِدًا) ولهذه الكلمة عدة معان منها²⁷²:

1- استقامة الطريق. قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾²⁷³.

²⁷¹ القرآن الكريم. سورة إبراهيم. 14: 35.

²⁷² الزبيدي. 2012. تاج العروس. ج: 9. ص: 20، 21، 22 & 25. ابن منظور. 1999. لسان العرب. ج: 11. ص: 179-181.

²⁷³ القرآن الكريم. سورة النحل. 9: 16.

- 2- الاعتماد والائتم، تقول: قصده وقصد له وقصد إليه.
- 3- إتيان الشيء، يقال: قصدتُ له وقصدت إليه، وإليك قصدي.
- 4- الكسر بأي وجه كان، تقول: قصدت العود قصداً أي كسرته.
- 5- العدل.
- 6- القريب، يقال، سفر قاصد أي سهل قريب. قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السُّجَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾²⁷⁴.
- 7- ومن الجاز القصد في الشيء ضد الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا؛ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾²⁷⁵.
- وأصل ق - ص - د في كلام العرب ما دل على الاعتزام والتوجه ونحو ذلك.
- المطلب الثاني: مفهوم الشريعة:
- أولاً: الشريعة لغة:
- تنبئ كلمة "الشريعة" على عدة معان، منها²⁷⁶:
- 1- الظاهر المستقيم من المذاهب.

²⁷⁴ القرآن الكريم. سورة التوبة. 9: 42.

²⁷⁵ القرآن الكريم. سورة فاطر. 35: 32.

²⁷⁶ الزبيدي. 2012. تاج العروس. ج: 21. ص: 142-146. ابن منظور. 1999. لسان العرب. ج: 7. ص: 86-87.

2- منحدر الماء ومورد الشاربة، التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون. والعرب لا تسمي الماء شريعة

حتى يكون الماء عدداً لا انقطاع له، ويكون ظهيرا معينا لا يستقى بالرشاء. وشرعت الدواب في الماء

شرعا وشروعا أي دخلت فشربت الماء. والتشريع هو: إيراد الإبل شريعة لا يحتاج معها أي مع ظهور

مائها إلى نزع بالعلق، ولا سقي في الحوض. والشريعة: موضع على شاطئ البحر تشرع فيه الدواب.

3- بدأ وخاض، يقال: شرع في هذا الأمر أي بدأ فيه وخاض.

4- رفع الشيء يقال شرع الشيء أي رفعه جدا ومنه شراع السفينة لكونه مرفوعا.

5- سدّد يقال: شرعت الرماح شرعا أي تسدّدت فهي شارعة وشوارع.

6- والشارع هو العالم الرباني العامل المعلم. ويطلق على النبي صلى الله عليه وسلم لأنه شرع الدين أي

أظهره وبينه.

7- كل قريب من شيء مشرف عليه، شارع، ومنه: الدار الشارعة: أي الدانية من الطريق القريبة من

الناس.

8- الشرعة: المنهاج والطريق والسبيل. قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ

أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾²⁷⁷.

9- ومن المجاز: الشريعة: العتبة على التشبيه بشريعة الماء. والشرع: شراك النعل.

ثانيا: الشريعة اصطلاحا:

هي ما شرعه الله تعالى لعباده من الدين أو ما سنه من الدين أي من الأحكام المختلفة من العقائد والعبادات

والأخلاق والمعاملات، ونظم الحياة في شعبها المختلفة، لتنظيم علاقة الناس بربهم وعلاقتهم بعضهم ببعض، وتحقيق

²⁷⁷ القرآن الكريم. سورة الجاثية. 45: 18.

سعادتهم في الدنيا والآخرة²⁷⁸. وسميت هذه الأحكام شريعته لاستقامتها وظهورها، التي تصون الإنسان من الزيغ والانحراف ونوازع الهوى، ويجنبها مزالق الشر، ولشبهها بمورد الماء العذب، الذي يشفي غلتها وترتوي به عقولها فيها حياة النفوس والعقول، كما أن في مورد الماء حياة الأبدان. فالغاية من تشريع الله تعالى استقامة الإنسان على الجادة لينال عز الدنيا وسعادة الآخرة²⁷⁹.

المطلب الثالث: مفهوم مقاصد الشريعة:

لم يحدد العلماء السابقون تعريف مقاصد الشريعة كلقب لعلم مستقل، تعريفا علميا مضبوطا جامعا ومانعا، رغم كثرة استعمالها في مؤلفاتهم، ولعل السبب في ذلك وضوح معانيها عندهم، ومن حولهم من أهل العلم دون مشقة²⁸⁰ ويكتفون بذكر أن مقاصد الشريعة، هو جلب المصالح ودفع المفساسد، كما قال الغزالي: "أما المصلحة فهي عبارة في الأصل عن جلب منفعة أو دفع مضرة، ولسنا نعني به ذلك، فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم. لكننا نعني بالمصلحة: المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم وماله، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة، فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة"²⁸¹.

ولأجل عدم ضبط تعريف مقاصد الشريعة عند العلماء السابقين، حاول العلماء المعاصرون أن يحددوا له تعريفا معينا، ولو كانت عباراتهم مختلفة، إلا أن معانيها متقاربة، فمن تعاريفها التي ساغها المعاصرون ما يلي:

²⁷⁸ الزبيدي. 2012. تاج العروس. ج: 21. ص: 142. القطان، مناع. 1996. تاريخ التشريع الإسلامي. ص: 13-14.

²⁷⁹ زيدان، عبد الكريم. 2001. المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية. ص: 38. القطان، مناع. 1996. تاريخ التشريع الإسلامي. ص: 14.

²⁸⁰ صالح، الكيلاني. 2009. مقاصد الشريعة عند الإمام الغزالي. ص: 14. البدوي، يوسف أحمد. 2000. مقاصد الشريعة عند ابن تيمية. عمان: دار النفائس. ص: 45.

²⁸¹ الغزالي، محمد بن محمد. 1993. المستصفى. بيروت: دار الكتب العلمية. ص: 174.

1- عرفها اليوبي بأنها: "المعاني والحكم ونحوها التي رعاها الشارع في التشريع، عموما وخصوصا من أجل

تحقيق مصالح العباد"²⁸².

2- وقال الفاسي²⁸³: "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم

من أحكامها"²⁸⁴.

3- وقال الزحيلي: "مقاصد الشريعة: هي المعاني والأهداف الملحوظة للشرع في جميع أحكامه أو معظمها

أو هي الغاية من الشريعة والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"²⁸⁵.

4- وعرفها الريسوني بأنها: "الغايات المستهدفة، والنتائج والفوائد المرجوة من وضع الشريعة جملة ومن

وضع أحكامها تفصيلا". أو هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"²⁸⁶.

5- عرفها ابن عاشور²⁸⁷ بأنها: "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها

بحيث لا تختص ملا حظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة"²⁸⁸.

المطلب الرابع: أهمية مقاصد الشريعة²⁸⁹

²⁸² اليوبي، محمد سعد. 1998. مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية. السعودية: دار الهجرة. ص: 37.

²⁸³ هو علال بن عبد الواحد بن عبد السلام من مواليد 8 محرم 1328 هـ. مؤسس حزب الاستقلال في المغرب وكان أدبيا وسياسيا. دعت إلى نوع من السلفية التجديدية فيعتبر أحد أعلام الحركة الإسلامية الحديثة. توفي في بوخارست عام 1394 هـ. بعد أن خلف كثيرا من المؤلفات منها مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها.

²⁸⁴ الفاسي، علال. 1993. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ص: 7.

²⁸⁵ الزحيلي، وهبة. 2004. أصول الفقه الإسلامي. بيروت: دار الفكر. ج: 2. ص: 1045.

²⁸⁶ الريسوني، أحمد. 1999. الفكر المقاصدي قواعد وفوائده. مغرب: مكتبة الزمان. ص: 13.

²⁸⁷ محمد طاهر بن عاشور عالم وفقه تونسي. ولد في تونس عام 1296 هـ. عين قاضيا مالكيًا في تونس سنة 1911 م ثم ارتقى إلى رتبة الإفتاء سنة 1932 واختير لمنصب شيخ الإسلام المالكي. توفي في رجب 1393 هـ وترك المؤلفات وصلت إلى أربعين كتابا في غاية الدقة العلمية وأشهرها التحرير والتنوير في التفسير ومقاصد الشريعة الإسلامية.

²⁸⁸ ابن عاشور، محمد طاهر. 2001. مقاصد الشريعة الإسلامية. الأردن: دار النفائس. ص: 251.

²⁸⁹ الريسوني، أحمد. 2010. مدخل إلى مقاصد الشريعة. القاهرة: دار الكلمة. ص: 17-24. ابن عاشور، محمد طاهر. 2001. مقاصد الشريعة الإسلامية. ص: 183-189. شهيد، معلمين محمد ومامت، ذو الفقار ومختار، أحمد وفاق، ونقاشي، محمد إبراهيم. 2017. مذكّرة في مقاصد الشريعة.

نيلاي: طباعة جامعة العلوم الإسلامية الماليزية. ص: 19-20.

إن لمقاصد الشريعة أهمية كبيرة في حياة المسلم، وآثارا بالغة في نفوسهم، فهي نبض الحياة وروح الأعمال، فالعيش بلا مقاصد كعيش بلا أرواح. فكل مسلم بمختلف مراتبه وخلفيته محتاج إلى فهم مقاصد الشريعة وتدبرها، فبمقدار معرفته لمقاصد الشريعة، يكون ازدياد حظهم في علوم الشريعة. فالمسلم يفتقر إليها في تطبيق الأحكام الشرعية، فإنها تحرك النشاط إلى العمل، وتدعو إلى الصبر وبها تتجنب الملل والضجر، والوقوع في الحيرة والضلال. فمن أدرك مقاصد الصلاة فإنه سوف يواظب عليها ويكثر منها، ولا يتكاسل في أدائها لما يعلم أن الصلاة ستمنعه من الفحشاء والمنكرات، وستحيل بينه وبين الإثم والمعاصي. قال ابن عاشور: "وفي الإعلام بالعلة تنشيط للمأمور بالفعل على الامتثال إذ يصير عالما بالحكمة"²⁹⁰.

هذا بالنسبة لعوام المسلمين، أما بالنسبة لفقهاءهم، فإنهم أحوج الناس إلى معرفتها، والنظر فيها. وقد أشار الريبوني إلى أهميتها للفقهاء بقوله: "وحيث تجرد الفقه من مراعاة المقاصد ومن يباها وتوجيه المكلفين إليها فهما وطلبا، حينذاك بدأ يتحول إلى مجرد قوانين تتسم بالظاهرية والجفاف والبرودة، وبدأ يصاب بالشلل العلمي والعملية"²⁹¹، فإنها لها من أسباب تخلف الفقه وجوده. فمقاصد الشريعة، تعطي للفقيه حكما للمسائل المعاصرة التي لا تذكر في الكتاب يوجد لها أصل تقاس عليه، وبهذا تدوم الشريعة الإسلامية للعصور والأجيال التي أتت بعد العهد النبوي. كما أن مقاصد الشريعة تبين الإطار العام للشريعة، والتصور الكامل للإسلام، وتوضح الصورة الشاملة للتعاليم والأحكام، لتكون النظرة الكلية الإجمالية للفروع، فبدلك يعرف الفقيه ما يدخل في الشريعة، وما لا يدخل فيها. وأيضا يستعين بها على ضبط وإثبات علة الحكم حتى يستقيم القياس. وبعد هذا، فالفقيه والمتفقه محتاج إلى مقاصد الشريعة في التوفيق بين خاصيتي الأخذ بظاهر النص والالتفات إلى روحه ومدلوله على وجه لا يخل فيه

²⁹⁰ ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج: 17. ص: 246.

²⁹¹ الريبوني. 2010. مدخل إلى مقاصد الشريعة. ص: 18.

المعنى بالنص ولا العكس، لتجري الشريعة على نظام واحد، لا اختلاف فيه ولا تناقض. وقد نقل السيوطي²⁹² عن الغزالي أن: "مقاصد الشرع قبله المجتهدين، من توجه إلى جهة منها أصاب الحق"²⁹³.

ثم إن حاجة الداعي إليها لا يقل عن حاجة الفقيه إلى مقاصد الشريعة، فبها تكون دعوة الداعي على بصيرة وحكمة. فمقاصد الشريعة تعرف الداعي ما يمكن التسامح فيه، وما لا يجوز تأخير النهي عنه، كأن تكون في المجتمع بدعة تقام، وشرك ينشر، وفيه أيضا فساد نظام المالية بتعاطي الربا، والخوض في العقود الفاسدة. فمقاصد الشريعة تمنح للداعي التمييز بين ما هو ضروري ومراتبه، وما هو حاجي وتحسيني، فيستطيع أن ينهى ويأمر ما هو أولى، ويضع كل مسألة على مراتبها الصحيحة. ففي المثال السابق، سيقدم الداعي تصحيح المعتقدات ويدعو إلى التوحيد، ثم يأتي بعد ذلك إصلاح الاقتصاد والمعاملات، قال ابن عبد السلام: "من تتبّع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودفع المفاسد حصل له من مجموع ذلك اعتقاد أو عرفان بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها، وأن هذه المفسدة لا يجوز قربانها، وإن لم يكن فيها إجماع ولا نص ولا قياس خاص، فإن فهم نفس الشرع يوجب ذلك"²⁹⁴. فهذه نماذج من أهمية مقاصد الشريعة في حياة المسلم المتدين والفقيه والداعي.

المطلب الخامس: فوائد علم مقاصد الشريعة²⁹⁵:

1- بمقاصد الشريعة تحصل الطمأنينة بصلاحية الأحكام لكل زمان ومكان.

²⁹² هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد سابق الدين الحضيري السيوطي، جلال الدين أبو الفضل، (849-911هـ). أصله من أسبوط ونشأ بالقاهرة يتيما. كان عالما شافعيًا مؤرخًا أدبيًا، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه والفقه واللغة. كان سريع الكتابة في التأليف، ولما بلغ أربعين سنة أخذ في التجرد للعبادة، وترك الإفتاء والتدريس وشرع في تحرير مؤلفاته فألف أكثر كتبه. ومن تصانيفه "الحاوي للفتاوي" و "الأشباه والنظائر". (بحي مراد. 2004. معجم تراجم أعلام الفقهاء ص: 162)

²⁹³ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. د: ت. الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. ص: 91.

²⁹⁴ ابن عبد السلام، عز الدين. 1991. قواعد الأحكام في مصالح الأنام. بيروت: دار الكتب العلمية. ج: 2. ص: 189.

²⁹⁵ ابن عاشور، محمد طاهر. 2001. مقاصد الشريعة الإسلامية. ص: 185-186. شهيد، ومامت، ومختار، ونقاشي. 2017. مذكّرة في مقاصد الشريعة. ص: 18-19.

2- يعين المجتهد على استنباط الأحكام، خاصة في القضية المعاصرة التي لا نص فيها بحيث يكون حكمه مطابقا لمقصود الشارع.

3- يعين المجتهد على استنباط علل الأحكام الشرعية لاعتمادها أساسا على القياس، حيث إن معرفة المقاصد تكون عوناً على تحديد العلل وإثباتها.

4- يساعد على معرفة مآخذ العلماء واستدلالهم وطرقهم في الاجتهاد في أحكام النوازل في عصرهم.

5- يستعين بها الفقيه في قبول الآثار من السنة وفي الاعتبار بأقوال الصحابة والفقهاء السابقين.

6- أن مقاصد الشريعة ستساعد الفقيه على الترجيح بين الأدلة المتعارضة.

7- يمكن توجيه الفتوى وتنزيلها على الوقائع وتحقيق مقاصد الشريعة في آحاد المستفتين.

8- التقليل من الاختلاف والنزاع الفقهي والتعصب المذهبي، بالاعتماد على علم مقاصد الشريعة في عملية بناء الحكم وتنسيق الآراء المختلفة ودرء التعارض بينها.

وغير ذلك من منافع وفوائد مقاصد الشريعة للعلماء وعامة المسلمين.

المبحث الثاني: ترتيب مقاصد الضروريات الخمسة وإضافة المقصد الجديد عليها:

لقد عرضت الباحثة في تقسيم مقاصد الشريعة باعتبار قوتها في ذاتها إلى مقاصد الضروريات والحاجيات والتحسينيات. وذكرت أن مقاصد الضروريات تجتمع في الحفاظ على خمسة أشياء وهي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال. إلا أن بعض الحوادث في الزمان الحالي، ونوازل العصر ومستجدتها قد كشفت عن بعض الأمور التي تستطيع أن تلحق بهذه الضروريات.

وسوف نتحدث الباحثة في هذا المبحث عن ترتيب مقاصد الضروريات الخمسة وإضافة مقصد ضروري إليها. قسّمت الباحثة هذا المبحث إلى أربعة مطالب، وضحت في أولها عن تقسيم مقاصد الشريعة باعتبار قوتها في

ذاتها. وفي المطلب الثاني تبين عن المعنى المستخدم للدين في القرآن الكريم، ثم في الثالث عن ترتيب مقاصد الضروريات الخمسة. وتدرس في المطلب الأخير عن إضافة المقصد الضروري الجديد على الضروريات الخمسة والمعيّار لاعتباره منها.

المطلب الأول: تقسيم مقاصد الشريعة باعتبار قوتها في ذاتها²⁹⁶:

تنقسم مقاصد الشريعة باعتبار قوتها في ذاتها إلى ثلاثة أقسام وهي:

الأول: المقاصد الضرورية: وهي المقاصد اللازمة التي لا بد من تحصيلها، لكي يقوم صلاح الدين والدنيا، ولا تستغني عنها الحياة البشرية، ولا يقوم لها شأن بدونها، وسيؤدي تخلفها إلى اختلال نظام حياة الدنيا وفساد أمور الآخرة. وهي تنقسم إلى خمسة أقسام، وتعرف بالضروريات الخمسة التي يجب الحفاظ عليها وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال.

فحفظ الدين، بتثبيت أركان الدين وأحكامه في الوجود الإنساني، والحياة الكونية، وكذلك العمل على إبعاد ما يخالف دين الله تعالى ويعارضه. وهو من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية ولا يمكن أن يهمل هذا المقصد ويضيع، حيث في تضييعه تضييع للمقاصد الأخرى. أما حفظ النفس فبضمان حق النفس وحرمتها، وسلامة الأبدان وصحتها، وكرامة الحياة وعزها، وكذلك تحسينه وترقيته إلى أحسن حال، سواء من الناحية الظاهرية أو الباطنية.

وبالنسبة للعقل فحفظه لكي يستطيع أداء مهمته التي كلفه الله تعالى بها، وذلك بصونه من جميع الأشياء التي يستطيع تضره، والأخذ بجميع ما يستطيع أن يطوره ويعززه ويبنى قدرته الفكرية. ويحفظ النسل لتحقيق استمرارية

²⁹⁶ إبراهيم، حسام العيسوي. 2014. مقصد حفظ الدين، رؤية مقاصدية معاصرة. ص: 1. الريسوني، أحمد. 2010. مدخل إلى مقاصد الشريعة. ص: 93، 98-99. شهيد، ومامت، ومختار، ونقاشي. 2017. مذكرة في مقاصد الشريعة. ص: 52، 62 & 64.

الحياة البشرية على وجه الأرض، ليكون الخليفة فيها بإعمارها وازدهارها عن طريق التناسل التوالد (الإنجاب الشرعي).
والمال يحفظ ويحرس بطريق إنمائه وإثرائه وإكثاره، حتى لا تضيع ولا تتلف وتهلك²⁹⁷.

الثاني: المقاصد الحاجية: هي ما كان يحتاجه الإنسان من حيث التوسعة، واختلاله سيؤدي إلى الضيق والنكد، ونزول المشقة، والوقوع في الحرج والعنت بشكل بليغ لا يطاق في العادة، وتفويت المنافع، سواء كان في حياتهم الدينية أو الدنيوية. فهي المصالح التي يحتاج إليها الناس احتياجا لا يبلغ إلى حد الضرورة. وفي استمرار فقداها، إلحاق الضرر بالمقاصد الضرورية.

الثالث: المقاصد التحسينية: هي المقاصد التي تحمل وتحسن وتكمل أمور الحياة في ظل الأخلاق الكريمة، ومحاسن العادات، ولا تتوقع المشقة والحرج بدونها. فهي منفعة لا تصل إلى حد الضرورة أو الحاجة لكن فيها نوع إفادة للناس سواء من الناحية الدينية أو الدنيوية.

المطلب الثاني: المعنى المستخدم للدين في القرآن الكريم:

يعتبر الدين هو أهم شيء يملكه الإنسان، ولأجل هذا لا يقبل أي نقصان يلحق به، يرضى باحتقاره أو الاستهزاء به أو نسبة أي خلل إليه. ومن بين الأمور التي تثير جدلا وخلافا هو إنزال مقصد حفظ الدين عن المرتبة الأولى من ترتيب مقاصد الضروريات الخمسة وجعلها في الدرجة الثانية أو التي تليها. وفي نظر الباحثة لا بد من معرفة المعنى المراد من الدين وعلام يدل.

²⁹⁷ إبراهيم، حسام العيسوي. 2014. مقصد حفظ الدين، رؤية مفاهيمية معاصرة. <https://www.alukah.net/sharia/0/65575> ص:1.
Institut Darul Ehsan. 2017. *Kompedium Maqasid Al Shariah*. Selangor: Attin Press Sdn. Bhd. Ms:137, 141-147.

عند معرفة معنى مفردة قرآنية أو أي قضية قرآنية، فيجب تجميع كل الآيات التي ذكرت فيها هذه المفردة، ثم تتأمل فيها لنفهم معناها العام والخاص. وبعد جمع كل الآيات التي ذكرت فيها كلمة "الدين"، يبدو معناها العام بأنه العقيدة، وتظهر أيضا عديد من المعاني الخاصة التي تفهم من خلال سياق الآية²⁹⁸، وهي كالتالي:

1- الجزاء كمثل قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾²⁹⁹، وكقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾³⁰⁰. والمقصود

منهما أن الله تعالى مالك ليوم الجزاء، وأن يوم الجزاء سيقع لا محال فيه.

2- العقيدة كقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾³⁰¹

3- الكتب السماوية مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ الدِّينِ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا

وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْسِتِّهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ . . .﴾³⁰² فالمقصود من الدين هنا الكتب السماوية التي أنزلها الله تبارك وتعالى.

4- منهاج الحياة كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ . . .﴾³⁰³. أي إن منهاج الحياة

والعيش الذي يرضاه الله تعالى هو المنهاج الذي جاء به الإسلام.

5- العبادة كقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا

الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾³⁰⁴، وقوله أيضا: ﴿إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾³⁰⁵.

²⁹⁸ فعلول، أحمد. 2008. "الدين" في القرآن. مجلة أقلام أونلاين، العدد: الثاني والعشرون. <https://vb.tafsir.net>. (تاريخ التصفح: 12 نوفمبر 2019). النوري، سنان سعيد. 2016. معنى كلمة الدين. <http://www.ahlalquran.com> (تاريخ التصفح: 12 نوفمبر 2019).

²⁹⁹ القرآن الكريم. سورة الفاتحة. 1: 4.

³⁰⁰ القرآن الكريم. سورة الذاريات. 51: 6.

³⁰¹ القرآن الكريم. سورة البقرة. 2: 256.

³⁰² القرآن الكريم. سورة النساء. 4: 46.

³⁰³ القرآن الكريم. سورة آل عمران. 3: 19.

³⁰⁴ القرآن الكريم. سورة البينة. 98: 5.

³⁰⁵ القرآن الكريم. سورة الزمر. 39: 3.

6- التشريع كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُؤْسِفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ . . .﴾³⁰⁶.

فدين المالك في هذه الآية هو تشريعه.

7- الطاعة والإخلاص، مثل قول تعالى: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ

تَتَّقُونَ﴾³⁰⁷. قال البغوي³⁰⁸ "الدين" هو الطاعة والإخلاص³⁰⁹.

وبهذا العرض يعرف أن الدين له معان متعددة ودلالات متنوعة، فيلزم تحديد معناه ومفهومه في حفظ الدين

والذي ستقوم به الباحثة في المطلب التالي.

المطلب الثالث: ترتيب مقاصد الشريعة الخمسة:

إن درجة الضروريات متفاوتة ورتبتها مختلفة ليست على درجة واحدة. ولأجل ذلك يجب ترتيبها وتقديم

الأولى منها، ويظهر أثر هذا الترتيب عند تعارض هذه الضروريات فيما بينها حيث يترجح بعضها على بعض وفقا

لهذا المعيار، وبهذا تظهر أهمية هذه المسألة.

والحقيقة أن الفقهاء السابقين لم يتفقوا على ترتيب معين، وكانت أقوالهم فيها كثيرة³¹⁰. ويرجع هذا

الاختلاف إلى عدة أسباب منها:

³⁰⁶ القرآن الكريم. سورة يوسف. 12: 76.

³⁰⁷ القرآن الكريم. سورة النحل. 16: 52.

³⁰⁸ هو الحسين بن مسعود بن محمد الغراء، البغوي شافعي، (436-510هـ). فقيه محدث مفسر نسبته إلى "بغشور" من قرى فرسان. ومن تصانيفه "التهذيب" و "شرح السنة". (يجي مراد. 2004. معجم تراجم أعلام الفقهاء ص: 46)

³⁰⁹ البغوي. 2002. تفسير البغوي. ص: 711.

³¹⁰ جمعة، علي. د:ت. ترتيب المقاصد الشرعية. أبحاث ووقائع المؤتمر العام: الثاني والعشرون: المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية. ص: 8-9. المحاسن، لحرش أسعد. د:ت. ترتيب المقاصد الضرورية بين المتقدمين والمعاصرين وأهميتها للمفتي. الجزائر: جامعة الجلفة. ص: 9-13. الكبيسي، بشير المهدي.

د:ت. المقاصد الشرعية وكيفية التعامل عند التعارض. بغداد: كلية الإمام الأعظم. ص: 26-27.

1- الاختلاف في تقديم الضروري الديني على الضروري الدنيوي أو العكس، وهذا الاختلاف مبني على

اختلافهم في تقديم حق الله تعالى على حق الآدمي أو العكس. قال السبكي: "وترجح الضرورية

الدينية على الضرورة الدنيوية لأن ثمرتها السعادة الأخروية التي هي أنجح المطالب وأروع المكاسب فإن

قلت بل ينبغي العكس لأن حق الآدمي مبني على الشح والمضايقة وحق الله تعالى مبني على المسامحة

والمساهلة، ولهذا كان حق الآدمي مقدما على حق الله تعالى، لما ازدحم الحقان في محل واحد وتعذر

استيفاهما منه كما يقدم القصاص على القتل في الردة والقطع في السرقة كذا الدين على زكاتي المال

والفطر في أحد الأقوال"³¹¹.

2- ومما يساهم في اختلافهم في ترتيب الضروريات تنازعهم في المقصود من "الدين". هل قصد منه

الإسلام بتمامه أو كان المقصود به العبادات الدينية المحضة. فمن رأى "الدين" هو الإسلام قدمه على

سائر مقاصد الضروريات الأخرى لأن بضياح الدين، ضياح المقاصد الأخرى، إذ هو الأساس الذي

ينبني الآخر عليه، قال ابن أمير الحاج: "ويقدم حفظ الدين من الضروريات على ما عداه عند المعارضة

لأنه المقصود الأعظم"³¹². ومن رأى أن المقصود منه العبادات المحضة قدم غيرها كالنفس مثلاً. فقد

نقل الإسنوي³¹³ عن ابن الحاجب مذهب تأخير الدين عن الكل فقال: "وحكى ابن الحاجب مذهبا

أن مصلحة الدين مؤخرة عن الكل؛ لأن حقوق الآدميين مبنية على المشاحة"³¹⁴.

³¹¹ السبكي، علي بن عبد الكافي. 1995. الإلحاح في شرح المنهاج. بيروت: دار الكتب العلمية. ج:3، ص:241.

³¹² ابن أمير الحاج، محمد بن محمد. 1983. التقرير والتحبير على التحرير. بيروت: دار الكتب العلمية. ج:3، ص:231.

³¹³ هو عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر الموي. ينتهي نسبه إلى عبد الملك بن مروان بن الحكم. كنيته أبو محمد. ولد في "إسنا" آخر سنة أربع وسبعمائة في ذي الحجة. ترعرع في بيت معروف بعلم وصلاح، فتلقى مبادئ العلوم من والده ثم من العديد علماء عصره كابن أثير وأبو حيان والقزويني. بينما أخذ عنه الزركشي والبلقيني وابن الملقن والحافظ العراقي. ويتصف بالبر والتواضع والتودد إلى الناس ويقرب المساكين. قال عنه ابن حجر: "كان بحرا في الفروع والأصول" وقال أيضا: "كان فقيها ماهرا وعلمنا ناصحا مفيدا صالحا". توفي ليلة الأحد الثامن عشر من جمادي الأولى عام 772هـ.

³¹⁴ الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن. 1999. نهاية السؤل شرح منهاج الوصول. بيروت: دار الكتب العلمية. ص:391.

3- ومن الأسباب التي يعود إليها هذا الاختلاف، أهمية كل مقصد في ذاته من ناحية، وأهميته بالمقارنة

مع المقاصد الضرورية الأخرى من ناحية أخرى.

فمن العلماء من يقدم الضرورة الدنيوية على الدنيوية لأنه يعتبر الأساس الذي تقوم عليه حياة الدنيا كما أن مصالحه باقية ومصالح الثاني فانية فيقدم الباقية على الفانية. ومن قال بهذا الغزالي³¹⁵ وابن قدامة³¹⁶ والآمدي³¹⁷ والطوفي³¹⁸ والفتوح الحنبلي³¹⁹ وابن أمير الحاج³²⁰ والإسنوي³²¹ وغيرهم من العلماء. وهؤلاء العلماء بعد أن اتفقوا على ابتداء ترتيب المقاصد الضرورية بحفظ الدين اختلفوا فيما بينهم في الترتيب الذي يلحق بحفظ الدين، ومعظمهم يأتي بحفظ النفس بعد ذلك مباشرة إلا الطوفي فجعل حفظ العقل ثانيا ثم النفس والنسب والعرض والمال³²².

والذي قد اتفقوا بوضع حفظ الدين أولا والنفس ثانيا اختلفوا في المرتبة الثالثة وما بعدها، فذهب الغزالي³²³ وابن قدامة³²⁴ إلى حفظ العقل والنسب والمال، وخالفهما الإسنوي في الآخرين فأتي بالمال ثم النسب³²⁵. بينما

³¹⁵ الغزالي. 1993. المستصفى. ص: 174.

³¹⁶ ابن قدامة، عبد الله بن أحمد. 2002. روضة الناظر وجنة المناظر. بيروت: مؤسسة الريان. ج: 1. ص: 481.

³¹⁷ الآمدي، علي بن أبي علي. د:ت. الإحكام في أصول الأحكام. بيروت: المكتب الإسلامي. ج: 3. ص: 274.

³¹⁸ الطوفي، سليمان بن عبد القوي. 1987. شرح مختصر الروضة. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج: 3. ص: 209.

³¹⁹ ابن النجار، محمد بن أحمد. 1997. مختصر التحرير شرح الكوكب المنير. الأردن: مكتبة العبيكان. ص: 4. ص: 159-160.

³²⁰ ابن أمير الحاج. 1983. التقرير والتحبير. ج: 3. ص: 231.

³²¹ الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن. 1999. نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول. بيروت: دار ابن حزم. ج: 2. ص: 944.

³²² الطوفي. 1987. شرح مختصر الروضة. ج: 3. ص: 209.

³²³ الغزالي. 1993. المستصفى. ص: 174.

³²⁴ ابن قدامة. 2002. روضة الناظر وجنة المناظر. ج: 1. ص: 481.

³²⁵ الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن. 1999. نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول. بيروت: دار ابن حزم. ج: 2. ص: 944.

رأى الآمدي أنه يتلو بعد حفظ النفس حفظ النسل ثم العقل وآخرها المال³²⁶، ووافقه ابن أمير الحاج على هذا الترتيب³²⁷. ورتب الفتوحي الحنبلي بعد حفظ النفس حفظ العقل فالنسل فمال والعرض³²⁸.

وقد قال بعض الأئمة بتقديم الضرورة الدنيوية على الدينية لتأكيد حرمتها في كثير من النصوص الشرعية مما جعلها قطعية ولأن النفس هي محل ورود الأحكام فانعدامها انعدام من يتدين. وعللوا مذهبهم كذلك من الناحية الفقهية والعقلية: بأن حق الآدمي مبني على المشاحة بخلاف حق الله تعالى فإنه مبني على المسامحة. ومن قال بهذا الزركشي³²⁹ والقراقي³³⁰ والبيضاوي³³¹ والشوكاني³³². كما أن العلماء الذين قدموا الضرورة الدينية اختلفوا في ترتيب مقاصد الضروريات الأخرى، فكذلك العلماء الذين قدموا الضرورة الدنيوية؛ فذهب الزركشي إلى هذا الترتيب: حفظ النفس والمال والنسل والدين والعقل والعرض³³³. واتحد قول الشوكاني³³⁴ مع الزركشي في هذه المسألة إلا أنه عبر بحفظ النسب بدلا من حفظ النسل³³⁵. ورأى البيضاوي³³⁶ أن حفظ الدين يكون بعد حفظ النفس ويليه العقل والمال والنسل³³⁷، واتفق معه القراقي إلا أنه قدم الرابع على الخامس³³⁸.

³²⁶ الآمدي. د:ت. الإحكام في أصول الأحكام. ج:3. ص:274.

³²⁷ ابن أمير الحاج. 1983. التقرير والتحبير. ج:3. ص:231.

³²⁸ ابن النجار. 1997. مختصر التحرير. ص:4. ص:159-160.

³²⁹ الزركشي، محمد بن عبد الله. 1994. البحر المحيط في أصول الفقه. القاهرة: دار الكتي. ج:7. ص:266.

³³⁰ القراقي، أحمد بن إدريس. 1995. نفائس الأصول في شرح المحصول. السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز. ج:7. ص:255.

³³¹ البيضاوي، ناصر الدين. 1999. منهاج الوصول (مطبوع مع نهاية السؤل). بيروت: دار ابن حزم. ج:2. ص:854.

³³² الشوكاني، محمد بن علي. 1999. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. دمشق: دار الكتاب العربي. ج:2. ص:230.

³³³ الزركشي. 1994. البحر المحيط. ج:7. ص:266.

³³⁴ هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني (1173-1250هـ). فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء. ولد بحجة، شوكان، ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة 1229هـ ومات حاكما بها. وكان يرى تحريم تقليد، له 114 مؤلفا منها "نيل الأوطار" و "السييل الجرار". (يحيى مراد. 2004. معجم تراجم أعلام الفقهاء ص:173)

³³⁵ الشوكاني. 1999. إرشاد الفحول. ج:2. ص:230.

³³⁶ هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي، الشيرازي الشافعي، (توفي 685هـ). والبيضاوي نسبة إلى البيضاء قرية من عمل شيراز. فقيه مفسر أصولي محدث، ولي قضاء القضاة بشيراز. أخذ الفقه عن والده وحجة الإسلام الغزالي. من تصانيفه "شرح مصباح السنة" و "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". (معجم تراجم أعلام الفقهاء. 2004م. يحيى مراد. ص:54)

³³⁷ البيضاوي، ناصر الدين. 1999. منهاج الوصول (مطبوع مع نهاية السؤل). بيروت: دار ابن حزم. ج:2. ص:854.

³³⁸ القراقي. 1995. نفائس الأصول. ج:7. ص:255.

ومن العلماء من لا يهتم بالترتيب أصلاً كالرازي³³⁹ والشاطبي³⁴⁰ والسبكي. فتغاير قول الرازي فيه، فرأى في موضع أن ترتيب المقاصد الضرورية يكون بحفظ النفس والمال والنسب والدين والعقل³⁴¹. لكن في الموضوع الآخر رجع الرازي جانب الآخرة على جانب الدنيا، وقال بإهدار النفس والمال لأجل الدين³⁴²، كما رتب نعم الله الكبرى بسلامة البدن والعقل والدين³⁴³. واختلف ترتيب الشاطبي كذلك، فأحياناً يأتي بحفظ الدين والنفس والنسل ثالثاً ويتبعه بالمال والعقل، وأحياناً يضع حفظ العقل في المرتبة الثالثة وختم الترتيب بحفظ النسب³⁴⁴. أما السبكي فمرة يبدأ بحفظ النفس ثم الدين والعقل والمال والنسب³⁴⁵، ومرة أخرى صدر حفظ الدين والنفس والعقل والنسب والمال والعرض³⁴⁶، وبهذا لم يسلكوا مسلك من قدم الضرورة الدينية على الدنيوية أو العكس، فلم يهتموا بفكرة الترتيب البتة.

وهناك من يرى أن العلماء السابقين معظمهم لم يلتفتوا إلى ترتيب المقاصد الضرورية، ومنهم من يرفضون فكرة الترتيب أصلاً³⁴⁷. ولعلهم نظروا إلى معنى "الواو" العاطفة من إفادتها مطلق الجمع، ولا تدل على الترتيب أو

³³⁹ محمد بن عمر بن حسين، العلامة فخرالدين أبو عبد الله القرشي البكري التيمي الشافعي، المفسر المتكلم، صاحب التصانيف. ولد في سنة أربع وأربعين وخمسمائة وتوفي في خراسان يوم الفطر سنة ست وستمائة. واشتهر بكتاب تفسيره، وانتشر في الآفاق تلامذته وتصانيفه. وكان إذا ركب بمشي حوله ثلاثمائة تلامذة وفقهاء وغيرهم يسألونه عن العلم. (الأدري، أحمد بن محمد. 1997. *طبقات المفسرين*. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. ص: 213-214).

³⁴⁰ هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي. ولد قريبا من سنة 730 هـ. جَدَّ في طلب العلم، وأخذ كل علم على أهله المتخصصين فيه والناغبين المتميزين، منهم ابن الفخار الألبيري والشريف أبو عبد الله التلمساني وغيرهما. انتصب للتدريس في الجامع الأعظم بغرناطة فخرج من مجلسه عدد من العلماء. ويتصف بشدة التحري والدقة وطلب الدليل والبرهان. ويعتبر أبا لعلم مقاصد الشريعة. توفي يوم الثلاثاء الثامن من شعبان سنة 790 هـ.

³⁴¹ الرازي، محمد بن عمر. 1997. *المحصل*. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج: 5. ص: 160.

³⁴² الرازي. 2001. *تفسير الرازي*. ج: 6. ص: 13.

³⁴³ الرازي. 2001. *تفسير الرازي*. ج: 11. ص: 155.

³⁴⁴ الشاطبي. 2012. *الموافقات*. ص: 203 & 480.

³⁴⁵ السبكي. 1995. *الإجماع في شرح المنهاج*. ج: 3. ص: 55.

³⁴⁶ السبكي، عبد الوهاب بن علي. 2003. *جمع الجوامع في أصول الفقه*. بيروت: دار الكتب العلمية. ص: 92.

³⁴⁷ الكبيسي. د.ت. *المقاصد الشرعية وكيفية التعامل عند التعارض*. ص: 26.

التعقيب³⁴⁸. وقالوا إن أول من صرح بترتيبها الآمدي³⁴⁹، وكذلك صرح بترتيبها ابن السبكي والفتوحي الحنبلي حين عطفوا هذه المقاصد بحرف الفاء ليفيد الترتيب³⁵⁰.

المطلب الرابع: إضافة المقصد الضروري الجديد على الضروريات الخمسة والمعياري لاعتباره منها:

الفرع الأول: إضافة المقصد الضروري الجديد على الضروريات الخمسة:

لقد اختلف العلماء في عدد مقاصد الضروريات، فمنهم من يذهب إلى حصرها في خمسة أمور، واعتقد أن الإجماع قد انعقد على ذلك، ومنهم من يزيد عليها؛ لكونها اجتهادية.

المذهب الأول: يحصر مقاصد الضروريات في خمسة أمور فقط، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

يعتبر هذا التقسيم من إبداعات الإمام الغزالي وأن الفضل يرجع إليه. فهو أول من ابتكر هذا التقسيم وأوجده، قال الغزالي: "ومقصود الشارع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهي مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهي مفسدة، ودفعها مصلحة. وإذا أطلقنا المعنى المخيل والمناسب في كتاب القياس أردنا به هذا الجنس، وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات، فهي أقوى المراتب في المصالح"³⁵¹.

ثم تبع أغلب العلماء الغزالي في ذلك كالرازي، فقال: "أما التي في محل الضرورة فهي التي تتضمن حفظ مقصود من المقاصد الخمسة وهي: حفظ النفس والمال والنسب والدين والعقل"³⁵². وكذلك الآمدي فقد قلد

³⁴⁸ الإسني. 1999. نهاية السؤل. ج: 1. ص: 337.

³⁴⁹ الكبيسي. د: ت. المقاصد الشرعية وكيفية التعامل عند التعارض. ص: 27.

³⁵⁰ السبكي. 2003. جمع الجوامع. ص: 92. ابن النجار. 1997. مختصر التحرير. ج: 4. ص: 159-160.

³⁵¹ الغزالي. 1993. المستصفى. ص: 174.

³⁵² الرازي. 1997. المحصول. ج: 5. ص: 159-160.

الغزالي في هذا التقسيم، فقال في الإحكام: "إن كان من قبيل المقاصد الضرورية فيما أن يكون أصلاً أو لا يكون أصلاً. فإن كان أصلاً فهو راجع إلى المقاصد الخمسة التي لم تخل من رعايتها ملة من الملل ولا شريعة من الشرائع، وهي: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال. فإن حفظ هذه المقاصد الخمسة من الضروريات"³⁵³. وسار القرافي³⁵⁴ والطوفي³⁵⁵ وابن قدامة³⁵⁶ والشاطبي³⁵⁷ وغيرهم على هذا النهج أيضاً، فاتفقوا على أن الضروريات تكون في خمسة أمور، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسب والمال، إلا أن ترتيبها قد يختلف بعضهم عن بعض. ولقد صرح الآمدي وابن أمير الحاج في حصر مقاصد الضروريات في الخمسة الأمور هذه، ولا يجوز الإضافة عليها فقال الآمدي: "والحصر في هذه الخمسة الأنواع إنما كان نظراً إلى الواقع والعلم بانتفاء مقصد ضروري خارج عنها في العادة"³⁵⁸. وقال ابن أمير الحاج: "وتسمى هذه بالكلية الخمس وكل منها دون ما قبله وحصر المقاصد في هذه ثابت بالنظر إلى الواقع وعادات الملل والشرائع بالاستقراء"³⁵⁹. فإن زيد عليها، فيندرج تحتها أو يضم إلى أحدها، فيكون مكتملاً لها.

المذهب الثاني: يجوز إلحاق وإضافة الأمر الجديد على هذه الضروريات الخمسة.

أبي فريق من العلماء أن يحصروا الضروريات بخمسة أمور فقط، بل للمجتهد أن يجتهد في إلحاق الأمر الآخر إن نظر ذلك، كإضافة حفظ العرض، قال القرافي: "قوله: المناسب الضروري ما تضمن حفظ المقاصد الخمسة: النفس، والمال، والنسب، والدين، والعقل. قلت: غيره عدد عوض الدين، العرض، فيحصل من ذلك أنه

³⁵³ الآمدي. د:ت. الإحكام في أصول الأحكام. ج:3. ص:274.

³⁵⁴ القرافي، أحمد بن إدريس. 1995. نفائس الأصول في شرح المحصول. السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز. ج:7. ص:255.

³⁵⁵ الطوفي، سليمان بن عبد القوي. 1987. شرح مختصر الروضة. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج:3. ص:209.

³⁵⁶ ابن قدامة، عبد الله بن أحمد. 2002. روضة الناظر وجنة المناظر. بيروت: مؤسسة الريان. ج:1. ص:481.

³⁵⁷ الشاطبي. 2012. الموافقات. ص:203 & 480.

³⁵⁸ الآمدي. د:ت. الإحكام في أصول الأحكام. ج:3. ص:274.

³⁵⁹ ابن أمير الحاج. 1983. التقرير والتحبير. ج:3. ص:144.

سته³⁶⁰. ومن هؤلاء الذين ألحقوا حفظ العرض بالضروريات، الزركشي³⁶¹ والطوفي³⁶². ويعلّلون لذلك بأنّ عادة العقلاء بذل نفوسهم وأموالهم دون أعراضهم، وما فدي بالضروري أولى أن يكون ضروريا، وقد شرع في الجناية عليه حد القذف³⁶³. واعترض ابن تيمية³⁶⁴ على من يحصر المقاصد الضرورية على خمسة أشياء فقط، بإعراضهم عن العبادات الباطنة والظاهرة من أنواع المعارف بالله وملائكته وكتبه ورسله وأحوال القلوب وأعمالها كمحبة الله تعالى والإخلاص، وكذلك فيما شرعه الشارع من الوفاء بالعهود وصلة الأرحام، وحقوق الجيران والمسلمين³⁶⁵. قال ابن تيمية: "فمن قصر المصالح على العقوبات التي فيها دفع الفساد عن تلك الأحوال ليحفظ الجسم فقط، فقد قصر³⁶⁶. كما أضاف هو مقصد العدل فقال في ذلك: "بل العدل واجب لكل أحد على كل أحد في جميع الأحوال والظلم لا يباح شيء منه بحال حتى إن الله تعالى قد أوجب على المؤمنين أن يعدلوا على الكفار في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾³⁶⁷ 368.

وتوسع فيه المعاصرون وحاولوا التجديد في المقاصد بإضافة مقاصد أخرى ضرورية في رأيهم واجتهادهم بناء على أن عدد الضروريات قد يزيد بسبب تغير الزمان واختلاف المكان، والتطور الاجتماعي والسياسي، وتقدم العلوم

³⁶⁰ القرافي. 1995. نفائس الأصول في شرح المحصول. ج: 7. ص: 261.

³⁶¹ الزركشي. 1994. البحر المحيط. ج: 7. ص: 267.

³⁶² الطوفي. 1987. شرح مختصر الروضة. ج: 3. ص: 209.

³⁶³ الزركشي. 1994. البحر المحيط. ج: 7. ص: 268. الشوكاني. 1999. إرشاد الفحول. ج: 2. ص: 130.

³⁶⁴ هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي، حنبلي (661-728هـ). ولد في حران وانتقل به أبوه إلى دمشق، فنبغ واشتهر. سجن بمصر مرتين من أجل فتاواه. وتوفي بقلعة دمشق معتقلا. كان داعية إصلاح في الدين. فصيح اللسان مكثرا من التصانيف، آية في التفسير والعقائد والأصول. (بحسب مراد. 2004. معجم تراجم أعلام الفقهاء ص: 62)

³⁶⁵ النافعي، كريم. د: ت. الضروريات الخمس بين الزيادة والحصر: إضافة مقصد العدل عند ابن تيمية أمودجا. بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات. ص: 13.

³⁶⁶ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. 1995. مجموع الفتاوى. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. ج: 11. ص: 343.

³⁶⁷ القرآن الكريم. سورة المائدة. 5: 8.

³⁶⁸ ابن تيمية. 1995. مجموع الفتاوى. ج: 30. ص: 339.

وازدهار الثقافة والحضارة، مما له تأثير على الحياة الإنسانية. فمما زادوا وأضافوا إلى المقاصد الضرورية لتوائم تطور الحياة: حفظ الحرية وحقوق الإنسانية والمساواة والبيئة ونظام الأمة والتحكم في العلوم الكونية وغير ذلك، فكل ما كان بإهماله وتركه يؤدي إلى فساد حياة الدنيا، وخسران الآخرة، يصح اعتباره من الضروريات، خاصة إذا كان يتوافق مع المعيار الذي وضعه العلماء لاعتبار كون الشيء ضروريا³⁶⁹.

فهؤلاء فرقة من الأئمة يرون أن حصر الضروريات في عدد معين تحكم لا غير، إذ لا دليل من الكتاب ولا السنة يحدد الضروريات على خمسة فقط. فالأساس الذي بنيت عليه الضروريات الخمسة هو الاجتهاد والاستقراء، كما قال ابن أمير الحاج: "وحصر المقاصد في هذه ثابت بالنظر إلى الواقع، وعادات الملل والشرائع بالاستقراء"³⁷⁰. فيجوز أن يضاف إليها إن تبين ذلك بالاستقراء، أو كانت الحاجة ماسة إليه لتغير الزمان والمكان. قال القرضاوي: "هناك مقاصد ومصالح ضرورية لم تستوعبها هذه الخمس المذكورة، من ذلك ما يتعلق بالقيم الاجتماعية، مثل: الحرية والمساواة والإخاء والتكافل وحقوق الإنسان"³⁷¹.

ورأت الباحثة أن كل مقصد جديد أضافه العلماء والأئمة جزء مندرج تحت أحد المقاصد الضرورية الخمسة. فمقصد العدل جزء من مقصد حفظ الدين، وحفظ البيئة مندرج تحت حفظ النفس. غير أنه ينبغي التنبيه عليه بإخراجه من ضمن المقاصد الضرورية الخمسة، وجعله مقصدا مستقلا حتى يظهر للناس ويعلم، لتغير الأحوال والحاجة الماسة إليه، لا أنه مقصد جديد أهمله السابقون.

الفرع الثاني: المعيار لاعتبار الأمر من الضرورية:

³⁶⁹ المحاسن. د:ت. ترتيب المقاصد الضرورية بين المتقدمين والمعاصرين وأهميتها للمفتي. ص: 17-23.

³⁷⁰ ابن أمير الحاج. 1983. التقرير والتحبير. ج: 3. ص: 144.

³⁷¹ القرضاوي، يوسف. 2008. دراسة في فقه مقاصد الشريعة. القاهرة: دار الشروق. ص: 29.

لم يبين العلماء السابقون مسلكهم في تعيين معيار معين يعرف من خلاله ما إذا كان الأمر ضروريًا وما إذا لم يكن، ولا يعرف لهم منهج في ذلك. وقد اجتهد العلماء اللاحقون في التعرف على العوامل التي تجعل الأمر ضروريًا من كلام السابقين، فذهبوا إلى أن القسم المشترك بين هذه الضروريات هو ما يلي³⁷²:

الأول: كون الاعتداء عليها من الكبائر.

الثاني: يعاقب على من يعتدي عليها بعقوبة الجناية أو الحدود. قال الطوفي: " . . . كالضروريات الخمس، وهي: حفظ الدين بقتل المرتد، والداعية إلى الردة، وعقوبة المبتدع الداعية إلى البدعة، وحفظ العقل بحد السكر، وحفظ النفس بالقصاص، وحفظ النسب بحد الزنى المفضي إلى تضييع الأنساب باختلاط المياه، وحفظ العرض بحد القذف، وحفظ المال بقطع السارق"³⁷³. وبمثل هذا، قال الرازي والآمدي وابن قدامة³⁷⁴. فهؤلاء يربطون المقاصد الضرورية بالحدود البدنية.

الثالث: أن جميع الملل والشرائع تحافظ وترعى هذه الأمور. قال الشاطبي: "فقد اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس، وهي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل وعلمها عند الأمة كالضروري"³⁷⁵.

³⁷² النافعي. د:ت. الضروريات الخمس بين الزيادة والخصر: إضافة مقصد العدل عند ابن تيمية أنموذجاً. ص:8-11. ابن عاشور. 2011.

مقاصد الشريعة الإسلامية. ص:25-31. المحاسن. د:ت. ترتيب المقاصد الضرورية بين المتقدمين والمعاصرين وأهميتها للمفتي. ص:8.

³⁷³ الطوفي. 1987. شرح مختصر الروضة. ج:3. ص:209.

³⁷⁴ الرازي. 1997. المحصول. ج:5. ص:160. الآمدي. د:ت. الأحكام في أصول الأحكام. ج:3. ص:274. ابن قدامة. 2002. روضة

الناظر وجنة المناظر. ج:1. ص:481.

³⁷⁵ الشاطبي. 2012. الموافقات. ص:21.

المبحث الثالث: مكانة الأمن في الإسلام وكونه مقصد شرعي ضروري:

لقد حرص الإسلام أشد الحرص على أن يوفر للناس أمنهم، ويوفر لهم الجو المناسب الذي يضمن فيه الإنسان معيشته من أن تعرض للمخاطر. فالإسلام يدعو إلى السلام والأمن في كل مجالات الحياة لا سيما المجال الاجتماعي. فالأمن الاجتماعي أسس النجاح والسعادة، به تسير الحياة على الاستقرار والرخاء. ففي هذا المبحث، ستبين الباحثة مكانة الأمن في الإسلام، وسوف تقسم هذا المبحث إلى ستة مطالب. توضح في المطلب الأول تعريف الأمن ويتبعه المطلب الثاني الذي يبين أنواع الأمن وتليه المطلب الثالث الذي يكشف فيه مظاهر اهتمام الإسلام بالأمن. وتذكر الباحثة في المطلب الرابع عن تطبيق حفظ الأمن الاجتماعي على معيار الضروريات وإحاقه بها. أما في المبحث الخامس فستدرس الباحثة عن تأثير مقصد حفظ الأمن على مقاصد الضروريات الخمسة وتنتهي هذا المبحث بذكر تقديم حفظ الأمن الاجتماعي على سائر الضروريات.

المطلب الأول: تعريف الأمن:

أولاً: تعريف الأمن لغة:

الأمن هو الطمأنينة وضده الخوف. والأمانة ضد الخيانة وهو ثقة واطمئنان إلى شيء ما، وتصديق بكل ما يسمع. واستأمن إليه أي دخل في أمانه. والمأمن: موضع الأمن، والأمن: المستجير ليأمن على نفسه³⁷⁶. وأمن البلد: اطمأن فيه أهله وأمن الشر ومنه: سلم³⁷⁷.

يستخلص مما سبق أن الأمن يأتي بمعنى: عدم الخوف، والثقة، والتصديق، والإجارة وطلب الحماية، وعدم الخيانة والطمأنينة. وقد جاء بهذه المعاني القرآن الكريم.

³⁷⁶ ابن منظور. 1999. لسان العرب. ج:1. ص:223. مادة: أ - م - ن.

³⁷⁷ إبراهيم أنيس. د:ت. المعجم الوسيط. ص:48. مادة: أ - م - ن.

1- فمثال مجيئه بمعنى عدم الخوف قول الله تبارك وتعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ

كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾³⁷⁸.

أي أن الخائف إذا دخله يأمن من كل سوء³⁷⁹.

2- ومجيئه بمعنى التصديق قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾³⁸⁰

أي يصدقون بالأمور الغيبية³⁸¹.

3- وإتيائه بمعنى الطمأنينة وزوال الخوف، قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ

كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾³⁸² والمعنى: إذا زال خوفكم³⁸³.

4- ومعنى الأمن بعدم الخيانة يأتي في الآية: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ

مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِذَا دَلَكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ سَبِيلٌ

وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾³⁸⁴.

5- ويقصد بالأمن بمعنى الإجارة وطلب الحماية في الآية: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ

حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾³⁸⁵.

³⁷⁸ القرآن الكريم. سورة آل عمران. 3: 97.

³⁷⁹ ابن كثير. 1981. تفسير ابن كثير. ج: 2. ص: 76.

³⁸⁰ القرآن الكريم. سورة البقرة. 2: 3.

³⁸¹ البغوي. 2002. تفسير البغوي. ص: 14.

³⁸² القرآن الكريم. سورة البقرة. 2: 239.

³⁸³ النسفي. 2008. تفسير النسفي. ج: 1. ص: 135.

³⁸⁴ القرآن الكريم. سورة آل عمران. 3: 75.

³⁸⁵ القرآن الكريم. سورة التوبة. 9: 6.

6- وقد ورد الأمن بمعنى الثقة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ يَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانًا مَقْبُوضَةً فَإِنْ

أَمِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكُونُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾³⁸⁶.

ثانيا: تعريف الأمن اصطلاحاً:

لقد تعدد تعريف الأمن عند من يهتم به، لكن قد أهمل البعض الأمن الأخروي وركز فقط على الأمن الدنيوي. فعرفه التهامي بـ: "زوال الخوف واطمئنان القلب، والشعور بالسلامة في حياة الفرد والمجتمع بالوطن"³⁸⁷. وقال آخر: "الشعور بالطمأنينة الذي يتحقق من خلال رعاية الفرد والجماعة ووقايتهما من الخروج على قواعد الضبط الاجتماعي من خلال ممارسة الدور الوقائي والقمعي والعلاجي الكفيل بتحقيق هذه المشاعر"³⁸⁸. فالدور الوقائي هو التشريعات التي تحمي الأفراد والمجتمع والتي ينتج عنها حصول الأمن بأنواعه ومستوياته. والدور القمعي هو الحدود التي شرعت لمعالجة انحرافات الأفراد لارتكابهم المعاصي. وهذه الانحرافات يتم علاجها في الدور العلاجي، ويكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفتح باب التوبة للمخطئ، فغلقها يجعل العاصي يقنط من الرحمة فيستمر في عصيانه³⁸⁹.

بينما هناك من أدخل الأمن الأخروي في تعريفه فقال: "الأمن هو الأمان والاستقرار والهدوء وصيانة الإنسان في نفسه ودينه وعرضه وماله وممتلكاته كلها من أي عدوان يهدد أمنه ويروع حياته في أي شأن من الشؤون

³⁸⁶ القرآن الكريم. سورة البقرة: 2: 283.

³⁸⁷ التهامي، نقرة. 1408هـ. القيم الأخلاقية لجهاز الأمن وتطبيقاتها في مجالات العمل الأمن. الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. ص: 161.

³⁸⁸ السيارى، رابعة بنت ناصر. 2011. الأمن الداخلي في ضوء مقاصد الشريعة والقضايا المعاصرة. السعودية: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. ص: 22.

³⁸⁹ صليحة، أبو البردة. 2016. الأبعاد المقاصدية لمستويات الأمن في القرآن الكريم. الجزائر: جامعة لأمر عبد القادر للعلوم الإسلامية. ص: 7-

كلها"³⁹⁰. وعرفه بعضهم بأنه: "حال القلبية تجعل المتصف بها في الدنيا يرتاح ويطمئن والموصوف بها في الآخرة يسعد وتحصل له السعادة الأبدية"³⁹¹. فالأمن حالة شعورية داخلية فالأمان هو الإحساس.

المطلب الثاني: أنواع الأمن³⁹²:

يختلف أنواع الأمن باختلاف وجهة النظر إليه. فمن حيث المصدر فيتنوع إلى أمن إلهي وإنساني. ومن حيث الغرض فيتنوع إلى أنواع كثيرة منها أمن جنائي وسياسي واقتصادي وديني ونفسي وجسدي واجتماعي وثقافي وفكري وصحي وغير ذلك. ومن حيث دائرة التطبيق فيتنوع إلى أمن داخلي وخارجي. أما بالنسبة إلى المحل، فيتفرع منه أمن فردي واجتماعي. ثم بالنسبة إلى الشكل، فيلزم رسمي وغير رسمي.

والذي تقصده الباحثة هو الأمن الاجتماعي الذي يحصل للمجتمع في البلد المتكون من عدة أديان وعناصر وأعراق. وهو كل الإجراءات والبرامج والخطط السياسة والثقافية والاجتماعية الهادفة إلى توفير ضمانات شاملة تحيط كل شخص في المجتمع بالرعاية اللازمة وتوفر له سبل تحقيق أقصى تنمية لقدراته وقواه وأقصى قدر من الرفاهية في إطار من الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية".

المطلب الثالث: مظاهر اهتمام الإسلام بالأمن:

لقد أصبحت القضية الأمنية مسألة رئيسية لأي دولة في العالم، خصوصاً بعدما انتشرت التهديدات الإرهابية التي عقدت لها المؤتمرات وأقيمت لأجلها الندوات، سواء أكانت على المستوى المحلي أم العالمي. ودين

³⁹⁰ ناشب، عبد الرحمن بن علي. 2010. الأمن في القرآن الكريم. السعودية: دار الجنادرية للنشر والتوزيع. ص: 21.

³⁹¹ البوشيخي، الشاهد. 2008. مفهوم الأمن في القرآن الكريم. مجلة حراء. عدد: 13. <https://al-maktaba.org/book/31871/9144#p1> (تاريخ التصفح: 22 أغسطس 2020).

³⁹² السيارى. 2011. الأمن الداخلي في ضوء مقاصد الشريعة والقضايا المعاصرة. ص: 35-38. صليحة. 2016. الأبعاد المقاصدية لمستويات الأمن في القرآن الكريم. ص: 13-14.

الإسلام قد لاحظ أهمية الأمن بأنواعه المختلفة واعتنى به وسعى إلى تحقيقه خاصة فيما يتعلق بالأمن القومي وبين أبناء الأديان المتعددة.

ومن مظاهر اعتناء الإسلام به أن القرآن الكريم قد تناول وتحدث عن موضوع الأمن بلفظه أو معانيه في كثير من مواضعه³⁹³ حتى بلغ ثمانية وأربعين موضعاً³⁹⁴؛ منها:

1- قول الله تعالى في سورة قريش مبينا أن الأمن من أعظم النعم التي امتنته على عباده وأن هذه النعمة توجب شكره على الناس: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾³⁹⁵.

2- قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾³⁹⁶. ففي هذه الآية، بين الله تعالى أن الخوف وانعدام الأمن من أكبر البلاء والامتحان الذي قد أنزله على عباده. فهذا يدل على رفعة قدر الأمن وعلو منزلته.

3- قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوْلُ إِلَيْكُمْ السَّلَامُ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾³⁹⁷، وقوله أيضاً: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾³⁹⁸.

في هاتين الآيتين الكريمتين أمر الله تعالى المسلمين بترك القتال، والدخول في السلم والأمن إن ظهر من عدوهم علامة وإرادة السلم؛ لأن العلاقة الأصلية بين المسلم وغيره هو السلم والأمن.

³⁹³ التركي، عبد الله بن عبد المحسن. د:ت. الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام. السعودية: د: مط. ص: 7.

³⁹⁴ صليحة. 2016. الأبعاد المقاصدية لمستويات الأمن في القرآن الكريم. ص: 2.

³⁹⁵ القرآن الكريم. سورة قريش. 106: 4.

³⁹⁶ القرآن الكريم. سورة البقرة. 2: 155.

³⁹⁷ القرآن الكريم. سورة النساء. 4: 90.

³⁹⁸ القرآن الكريم. سورة الأنفال. 8: 61.

4- مدح الله تعالى الأمن الذي جعله لمكة حتى يستطيع به الناس أداء نسكهم وعبادتهم بحدوء واطمئنان،

وكان سببا في اختطاف الناس إليه. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ

حَوْلِهِمْ ؕ أَفَبِالْبُطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾³⁹⁹.

وبجانب الآيات القرآنية، فإن الأحاديث النبوية كذلك تحدثت كثيرا عن موضوع الأمن. فقد ثبت أن النبي

صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أخبركم بالمؤمن، المؤمن من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب"⁴⁰⁰.

ولم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فقط، بل أظهر ميله للأمن بفعله حينما فتح مكة وأعلن الأمن

للجميع، ولم ينتقم من الذي قتل عشيرته وأصحابه وتعرض له بإيذاء وفحشاء، فقال صلى الله عليه وسلم: "من

دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن"⁴⁰¹. كما حاول النبي

صلى الله عليه وسلم اجتناب والابتعاد عن الحرب بكل جدية. فأبى النبي صلى الله عليه وسلم قتل المنافقين الذين

قد آذوه والمسلمين، مع أن موجهه قد قام وكذلك امتنع من إقامة حد القذف على عبد الله بن أبي بن سلول الذي

تولى حديث الإفك، وكل ذلك لحفظ الأمن والسلامة والاستقرار بين المجتمع⁴⁰².

وفي تحقيق الأمن لم يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدين أو العرق أو القبيلة أو الجنسية، بل يؤمن أن

الأمن حق للجميع فقال: "من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ربحها توجد من مسيرة أربعين عاما"⁴⁰³، وقال

أيضا: "ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم

³⁹⁹ القرآن الكريم. سورة العنكبوت. 29: 67.

⁴⁰⁰ الحديث. ابن حبان. كتاب السير. باب: الهجرة. ج: 11. ص: 203. #4862.

⁴⁰¹ الحديث. أبو داود. د: ت. سنن أبي داود. كتاب: الخراج والإمارة والفيء. باب: ما جاء في خبر مكة. ج: 3. ص: 162. #3022.

⁴⁰² ابن حجر. 1986. فتح الباري. ج: 8. ص: 337.

⁴⁰³ الحديث. البخاري. 1986. صحيح البخاري. كتاب: الجزية. باب: إثم من قتل معاهدا بغير جرم ج: 6. ص: 311. #3166.

القيامة"⁴⁰⁴. واعترف النبي صلى الله عليه وسلم بالأمن والسلام الذي حققته دولة الحبشة تحت إمارة النجاشي مع أن هذه الدولة هي دولة النصارى، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إليها بقوله: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد. وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه"⁴⁰⁵. وعندما هاجر النبي إلى المدينة لم يطلب من المسلمين الكائن في الحبشة أن يرجعوا إلى المدينة، بل مكث بعضهم فيها حتى السنة السابعة من الهجرة⁴⁰⁶. يدل هذا على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يميز الأمن بين كونه في الدولة الإسلامية أو لا، ولم يفرق بين الأمن الذي حققه المسلمون أو غيرهم، فهدفه الأسمى هو تحقيق الأمن، وما دام قد حقق، فللمسلم وغيره أن يستظل تحته.

ومما يدل على كرامة الأمن وفضله أن الله تعالى جعله عنوانا لدينه ونداء لمن يؤمن به. وقد سمي الله تعالى دينه بالإسلام الذي اشتق من السلام، ومن يعتنقه ويصدق به المؤمن الذي أصله من الأمن وجعل شعاره السلام، فأول ما أمر به صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة، إفشاء السلام، فعن عبد الله بن سلام⁴⁰⁷ أنه قال: "لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَلَّ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَنْبَتُ وَجَهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَرَفْتُ أَنْ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ "أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ"⁴⁰⁸. وهذا السلام لا يخصه الأقارب

⁴⁰⁴ الحديث. أبو داود. د.ت. سنن أبي داود. كتاب: الخراج. باب: التشديد في حيازة الجزية. ج:3. ص: 170-171. #3052.

⁴⁰⁵ السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله. 2000. روض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج:3. ص:120.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. 1976. السيرة النبوية. بيروت: دار المعرفة. ج:2. ص:4.

⁴⁰⁶ المرجع السابق.

⁴⁰⁷ هو ابن الحارث أبو يوسف الإسرائيلي، الخبر، حليف الأنصار. أسلم وقت مقدم النبي ﷺ المدينة وشهد له بالجنة. توفي رضي الله عنه سنة ثلاث

وأربعين. (الصالح). 1996. طبقات علماء الحديث. ج:1. ص:86-87.

⁴⁰⁸ الحديث. الترمذي. 1998. سنن الترمذي (مطبوع مع تحفة الأحوذى).. كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع. ج:7. ص:231. #2485.

والأصدقاء فقط بل حتى على الغريب، فقال صلى الله عليه وسلم: "وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف"⁴⁰⁹.
وجعل آخر ما نطق به المصلي هو السلام، ليعلن أن علاقته مع غيره من الخلق هو السلم والأمن.

فهذه من مظاهر اعتناء الإسلام بالأمن والسلامة واهتمامه بها ورفعته قدرها في أعلى المراتب، سواء كان في مستوى الفرد أو الجماعة وسواء كان لأمتة أو لغيره من البشر.

المطلب الرابع: تطبيق حفظ الأمن الاجتماعي على معيار الضروريات وإلحاقه بها:

لقد وضع العلماء معياراً لاعتبار كون الشيء الضروريات أم لا كما ذكرته الباحثة آنفاً. وإذا أردنا ضم حفظ الأمن إلى هذه الضروريات وإلحاقه بها فلا بد من تحقيق مطابقته لهذا المعيار.
المعيار الأول: كون الاعتداء عليها من الكبائر.

الإسلام يحرص دائماً على إشاعة أجواء الطمأنينة والأمن في أنحاء المجتمع. ويكون الأمر من الضروريات إذا كان الاعتداء عليه يعتبر من الكبائر. وإذا طبق هذا المعيار على حفظ الأمن فسوف ينطبق عليه، إذ إن ترويع المسلمين وغيرهم يعد من الكبائر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً"⁴¹⁰، وقال أيضاً حين علم أن رجلاً أخذ نعل رجل ليروعه: "إن روعة المسلم عند الله عظيم"⁴¹¹، وفي رواية: "لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم"⁴¹²، وفي رواية قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كيف بروعة المؤمن"، فقال: "يا رسول

⁴⁰⁹ الحديث. البخاري. 1986. صحيح البخاري. كتاب: الإيمان. باب: إطعام الطعام من الإسلام. ج: 1. ص: 70-71. #12. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: الإيمان. باب: بيان تفاضل السلام، وأي أمره أفضل. ص: 39. 39.

⁴¹⁰ الحديث. أبو داود. د.ت. سنن أبي داود. كتاب: الأدب. باب: من يأخذ الشيء على المزاح. ج: 4. ص: 301. #5004. أحمد. 2001. المسند. ج: 38. ص: 163. #23064.

⁴¹¹ الحديث. البزار، أحمد بن عمر. 1997. بحر الزخار. ج: 9. ص: 271. #3816. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. الهيتمي، علي بن أبي بكر. 1979. كشف الأستار عن زوائد البزار. كتاب: الجنائيات. باب: لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً. ج: 2. ص: 203. #1523. بيروت: مؤسسة الرسالة.

⁴¹² الحديث. المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي. 1417هـ. الترغيب والترهيب. ج: 3. ص: 318. #4245. بيروت: دار الكتب العلمية. الهيتمي، علي بن أبي بكر. 1994. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. ج: 6. ص: 253. #10525. القاهرة: مكتبة القدسي.

الله، إنما صنعته لعباً"، فقال: "فكيف بروعة المؤمن" مرتين أو ثلاثاً⁴¹³. وكذلك قوله: "من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلغنه، حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه"⁴¹⁴، وقال في ذلك أيضاً: "لا يأخذن أحدكم متاع أخيه، لاعبا ولا جادا، ومن أخذ عصا أخيه فليردها"⁴¹⁵. وقال أيضاً: "من أخاف مؤمناً بغير حق كان حقاً على الله أن لا يؤمنه من أفرع يوم القيامة"⁴¹⁶.

ففي هذه الأحاديث وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم من يروع أخاه باللعنة والبعد عن الرحمة، وأن ذلك جرم عظيم عند الله تعالى وأنه لا يأمن من فزع يوم القيامة، مما يدل على أن ترويع الآمنين، لا يجوز في شرع الله تعالى وأنه من الكبائر والظلم، وسواء كان ذلك عن طريق الإيذاء الحسي أو المعنوي، سواء كان هذا الترويع بالقول أو بالفعل، وسواء كان على سبيل الجد أو اللعب. قال المناوي: إن ترويع المسلم حرام شديد التحريم⁴¹⁷. وعده ابن حجر⁴¹⁸ من الكبائر كما ذكر في كتابه الزواجر⁴¹⁹. وقال النووي: "فيه تأكيد حرمة المسلم، والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذيه. وقوله صلى الله عليه وسلم: وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ. مُبَالَغَةٌ فِي إِبْصَاحِ عُمُومِ النَّهْيِ فِي كُلِّ أَحَدٍ، سَوَاءٌ مَنْ يُتَّهَمُ فِيهِ، وَمَنْ لَا يُتَّهَمُ، وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا هَزْلاً وَلَعِباً، أَمْ لَا، لِأَنَّ تَرْوِيعَ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ"⁴²⁰.

⁴¹³ الحديث. الطبراني، سليمان بن أحمد. 1994. المعجم الكبير. ج: 22. ص: 394. #980. الرياض: دار الصميعي.

⁴¹⁴ الحديث. مسلم. 2006. صحيح مسلم. كتاب: البر والصلة والأدب. باب: النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم. ص: 1211. #2616.

⁴¹⁵ الحديث. أبو داود. د: ت. سنن أبي داود. كتاب: الأدب. باب: من يأخذ الشيء على المزاح. ج: 4. ص: 301. #5003.

⁴¹⁶ الحديث. الطبراني، سليمان بن أحمد. د: ت. المعجم الأوسط. ج: 3. ص: 24. #2350. القاهرة: دار الحرمين. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. د: ت. الجامع الصغير. ص: 141. #12141. المكتبة الشاملة الحديثة. Al-Maktaba.org.

⁴¹⁷ المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين. 1356هـ. فيض التقدير شرح الجامع الصغير. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى. ج: 6. ص: 211.

⁴¹⁸ هو أحمد بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين أبو العباس، (909-973هـ). ولد بمحلة أبو الهيثم، بمصر ونشأ وتعلم بها، فقيه شافعي. تلقى العلم بالأزهر وانتقل إلى مكة وصنف بها كتبه وبها توفي. برع في العلوم خصوصاً فقه الشافعي. من تصانيفه "تحفة المحتاج في شرح المنهاج" و "إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام". (يحيى مراد. 2004. معجم تراجم أعلام الفقهاء. ص: 79)

⁴¹⁹ ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد. 2002. الزواجر عن اقتراف الكبائر. القاهرة: دار الحديث. ج: 2. ص: 174..

⁴²⁰ النووي. د: ت. شرح مسلم. ج: 16. ص: 170.

وبهذا العرض تبين أن حفظ الأمن ينطبق عليه المعيار الأول لاعتبار الأمر من الضروريات.

المعيار الثاني: يعاقب على من يعتدي عليه بعقوبة الجناية أو الحدود.

فهذا هو المعيار الثاني لتعيين كون الشيء من الضروريات، وهو أن الشارع أعد لمن اعتدى عليه بعقوبة الجناية البدنية. وهذا المعيار كذلك يلائم حفظ الأمن إذ إن من يسعى في الأرض فسادا ويخلع عن المجتمع أمنهم، وينزع سلامتهم، فيعاقب بحد البغاة ويعتبر ممن حارب الله تعالى ورسوله. قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ تِ قَاتِلُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾⁴²¹. ففي الآية الكريمة دلالة لنهي المؤمنين عن أن يبغي بعضهم على بعض، أو يقاتل بعضهم بعضاً، والأمر بقتال الباغية منهم حتى ترجع إلى ما حدّ الله ورسوله. وبين الله تعالى في الآية الأخرى جزاء الباغية وشبهها بمن حارب الله تعالى فقال: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁴²². فمن صفات الباغية قلع الاستقرار والأمن من المجتمع، بالقتل والنهب والسرقة وقطع الطريق وغير ذلك.

فبهذا فإن جزاء الاعتداء على الأمن يعاقب بعقوبة الحد الذي أنزله الله تعالى، ولأجل ذلك فإن حفظ الأمن ينطبق عليه المعيار الثاني الذي وضعه العلماء لاعتبار الأمر من الضروريات.

المعيار الثالث: أن جميع الملل والشرائع تحافظ وترعى هذه الأمور.

⁴²¹ القرآن الكريم. سورة الحجرات. 49: 9.

⁴²² القرآن الكريم. سورة المائدة. 5: 33.

إن هذا المعيار يتماشى مع حفظ الأمن بوضوح إذ إن كل الملل والشرائع تدعو إلى الأمن، وتسعى لتحقيقه وإيجاده، بل إن هدف تكوين الشرائع وتقنين القوانين هو حفظ الأمن.

وبعد هذا العرض والمقارنة، يتبين أن حفظ الأمن يجتمع فيه كل المعايير التي لا بد منها لاعتبار الأمر من الضروريات، ويوافق جميع هذه المعايير موافقة تامة. وإضافة على ذلك، فإن نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة اهتكت بموضوع الأمن كثيرا، وتناولته تناولا وفيرا، وأثبتته لجميع الناس مسلمهم وكافرهم، بل للحيوان كذلك فقد روى ابن مسعود⁴²³: كنا مع رسول الله في سفر فانطلق لحاجته، فرأينا حُمرةً، معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمرة فجعلت تُفْرِشُ، فجاء صلى الله عليه وسلم، فقال: "من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها"⁴²⁴. فنخلص بعد هذا البحث إلى إلحاق حفظ الأمن بالمقاصد الضرورية.

ولأجل هذا فإن إضافة حفظ الأمن الاجتماعي بالضروريات الخمسة، وإلحاقه بها صحيح، ويتفق مع معيار الضروريات. خاصة حينما رأى بعض الفقهاء أن الضروريات لا تنحصر في هذه الخمسة، بل يجوز أن يزداد عليها معتبرا بما يفتقر إليه العصر، وما يدور ويحدث فيه. وهذه إضافة جديدة ستظهر للناس أهمية الأمن الاجتماعي، وسيأخذهم إلى أن يهتموا به أيضا، كما يبرز مدى اعتناء الإسلام به، وأنه يلعب دورا مهما في استنباط الأحكام الشرعية لمستجدات العصر ونوازلهما، ويكون المرجح عند تعارض المصلحة والمفسدة.

المطلب الخامس: تأثير مقصد حفظ الأمن على مقاصد الضروريات الخمسة:

⁴²³ هو عبد الله بن مسعود، أبو عبد الرحمن الهذلي. أحد السابقين الأولين، قال عن نفسه: "لقد رأيتني سادس ستة ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا". توفي بالمدينة سنة اثنين وثلاثين، وله من نحو ستين سنة، صلى عليه عثمان بن عفان ودفن بالبقيع. (ابن الأثير. د.ت. أسد الغابة. ج:3. ص:354 & 358. الصالح. 1996. طبقات علماء الحديث. ج:1. ص:80).

⁴²⁴ الحديث. أبو داود. د.ت. سنن أبي داود. كتاب: الأدب. باب: في قتل الذر. ج:4. ص:367-368. #5268.

لقد كان لحفظ الأمن تأثير بالغ على المقاصد الضرورية الأخرى وأهمية عظيمة لها. فبالأمن يستطيع المسلم أن يؤدي واجباته الدينية في هدوء وراحة، ويظهر شعائره⁴²⁵ من إقامة الجمعة والجماعة ورفع الأذان وغيرها. ويمكنه من أن يأتي إلى المساجد ويعقد مجالس العلم ونشر الدعوة وغير ذلك من الأمور الدينية، ويفقده تتوقف جميع البرامج الدينية سواء كانت في المدارس أو المساجد وغيرها. وخير مثال على ذلك عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، لا يستطيع المسلم أن يظهر شأنه وتعاليم دينه حتى يستر عن هويته الدينية، هذا يدل على أهمية الأمن بالنسبة لحفظ الدين.

وكذلك بالنسبة للنفس، فالأمن هو أساس عصمتها وحفظها. فبانتشار الأمن في جميع أنحاء الدولة يأمن الناس على أرواحهم وأجسادهم من أن يعتدى عليها، وكذلك على نفس من يحبه من الأقارب والأبناء والأصدقاء. فلا يخاف قسوة الظالمين وفساد المفسدين وشوكة المحاربين وشراسة المعتدين. وبفضل الأمن يشعر الناس بالكرامة وينال الإنسان حريته ويتمتع بالعزة، فلا وجود للحياة الإنسانية بدونه، ولا يهنأ العيش إلا به. وإذا انعدم الأمن أصبح الناس يقاتل بعضهم بعضاً، ويحني الرجل على الرجل، فلا يقدر على تدبير حياته ويكسب لقمة عيشه، وترقية نفسه ويسعى وراء حلمه وأمنيته فصار جسده معلولاً، ونفسه محجورة، وباتت حياته مقصورة ومخدولة.

أما بالنسبة للعقل فقد قام الأمن بدور عظيم في رفع قدرة فكرته واستخراج قوة إبداعاته. فيمنح الأمن فرصة التعلم والتعليم، وتقدم العلم مرتبط بالحضارة الكاملة، وعن طريق الحصول على هذه الملكة يتفاوت الناس، والتعليم بنوعيه النظري والتجارب العملي يزيد في قوة العقل والفطنة، ولا يستطيع الوصول إلى هذه المرتبة إلا بالأمن العام. وإذا تغير الأمن خوفاً، واستحل الاضطراب والفزع مكانه، فسيفشل دور العقل وستصاب الحضارة والثقافة بالشلل، إذ لا يتمكن الناس من التعلم. وستكون الفتنة أكبر عندما يحتفي ويزول الأمن الفكري، فسينحرف العلم

⁴²⁵ آل الشيخ، حسين بن عبد العزيز. 1435هـ. أثر الأمن في حياة المجتمع. <https://khutabaa.com/khutabaa-section/corncr->

speeches/178888. (تاريخ التصفح 4 يوليو 2020).

والفهم عن مواضعه وحينئذ ستهجم الفكرة الضالة، والفهم المنحرف، والاعتقاد الشاذ، والعقل المعوج، والمبادئ المتشظطة على المجتمع، مما يحملهم على الفساد والهلاك. فالأمن الفكري قاعدة الأمن بشكل عام، وذلك لما فيه من حماية الشريعة الإسلامية التي منها يستمد الإنسان أفكاره وقيمه وسلوكياته. وتحقيق هذا الأمن، تنمو الحضارات وتتقدم البلاد وتضامن الشريعة من مكر الماكرين وإن توارى انعكس.

وللأمن خدمة عظيمة في حفظ النسل والنسب؛ فحاجة الإنسان إلى الأسرة والاجتماع مع بني جنسه أمر ضروري، إذ لا يمكنه العيش بمعزل عن الآخرين. فالأمن ييسر له أمر الزواج، بينما القلق والفوضى يمنعه منه، ويفتح باب الاغتصاب على حرمة الأبضاع فيختلط به النسب. كما يوقر الأمن فرصة تربية الأولاد على حسن الخلق وعمل الخير والتحلي بالصفات الحمودة، ويقدم لهم أسوة حسنة وقدوة جليلة. فإذا اندثر الأمن، فشى الفحشاء والمنكر، وأبدى الشر وجهه، وترى الأولاد على مثال رذيلة، وقبحت البيئة، وظهر الإثم، وأسفر العيب والعار. فالأمن حصن منيع لإنشاء الأسرة التي تهذب بقيم الإسلام. وبنسبة تأثيره في حفظ المال، فكان بارزا إذ لا يستطيع الشخص أن يعمل ويكسب لقمة عيشه، ويحافظ على ممتلكاته وينمي ثروته، إلا إذا انتشر الأمن في مجتمعه ووطنه.

المطلب السادس: تقديم حفظ الأمن الاجتماعي على سائر مقاصد الضروريات الأخرى:

تقدم أن العلماء لم يتفقوا ويجمعوا على ترتيب معين للضروريات، وليس له قانون يعول عليه بل قد ذهب بعض الباحثين على أن جهود علماء السلف تركزت في استقراء وجمع مقاصد الضروريات دون ترتيبها⁴²⁶. فهؤلاء العلماء رتبوا هذه الضروريات على ما يلائم الأحوال التي يعيشون فيها، وما حدث في زمانهم، ويتناسب مع عصرهم. وهذا وفي هذا إشارة لمن يأتي من بعدهم ألا يقفوا عند مسائلهم بل لا بد أن يأخذوا بمناهجهم وينزلوها في الواقع المعاصر لأن مسائلهم مرتبطة بواقعهم الذي يعيشون فيه.

⁴²⁶ جمعة. د:ت. ترتيب المقاصد الشرعية. ص:9.

ونظرا لما يحيط العالم من الأزمة الأمنية وانحيارها في بعض الدول، وبما يمر بالأمن القومي والديني من الاضطرابات والتوتر، وصعوبة تحقيقه الأمن في بعض الأحيان، وما يكون في تحصيله من العوائق والعقبات، ثم يشق حفظه ورعايته من بعد تحقيقه، رأت الباحثة أن تضع مقصد حفظ الأمن في المرتبة الأولى من بين مقاصد الضروريات الأخرى، لما للأمن من تأثير بالغ في تحقيق هذه الضروريات وحفظها.

وفسرت الباحثة الدين بالعبادة المحضة أو ما تخص علاقة العبد مع ربه من الشعائر والطقوس وليس المراد به الإسلام، فالدين بهذا المعنى أخص من الإسلام. ثم إن الدين بمعنى الإسلام هو الذي يأمر العباد بحفظ هذه المقاصد، فلا يمكن أن يدخل من ضمنها، بل لا بد أن يكون خارجا عنها، فيترتب على حفظها جميعا حفظ دين الإسلام. وترجو الباحثة من هذا التفسير ألا يشتعل الجدل في تقديم الأمن على الدين.